

ظہور بردیگان

تالیف
میشال زوشاکو

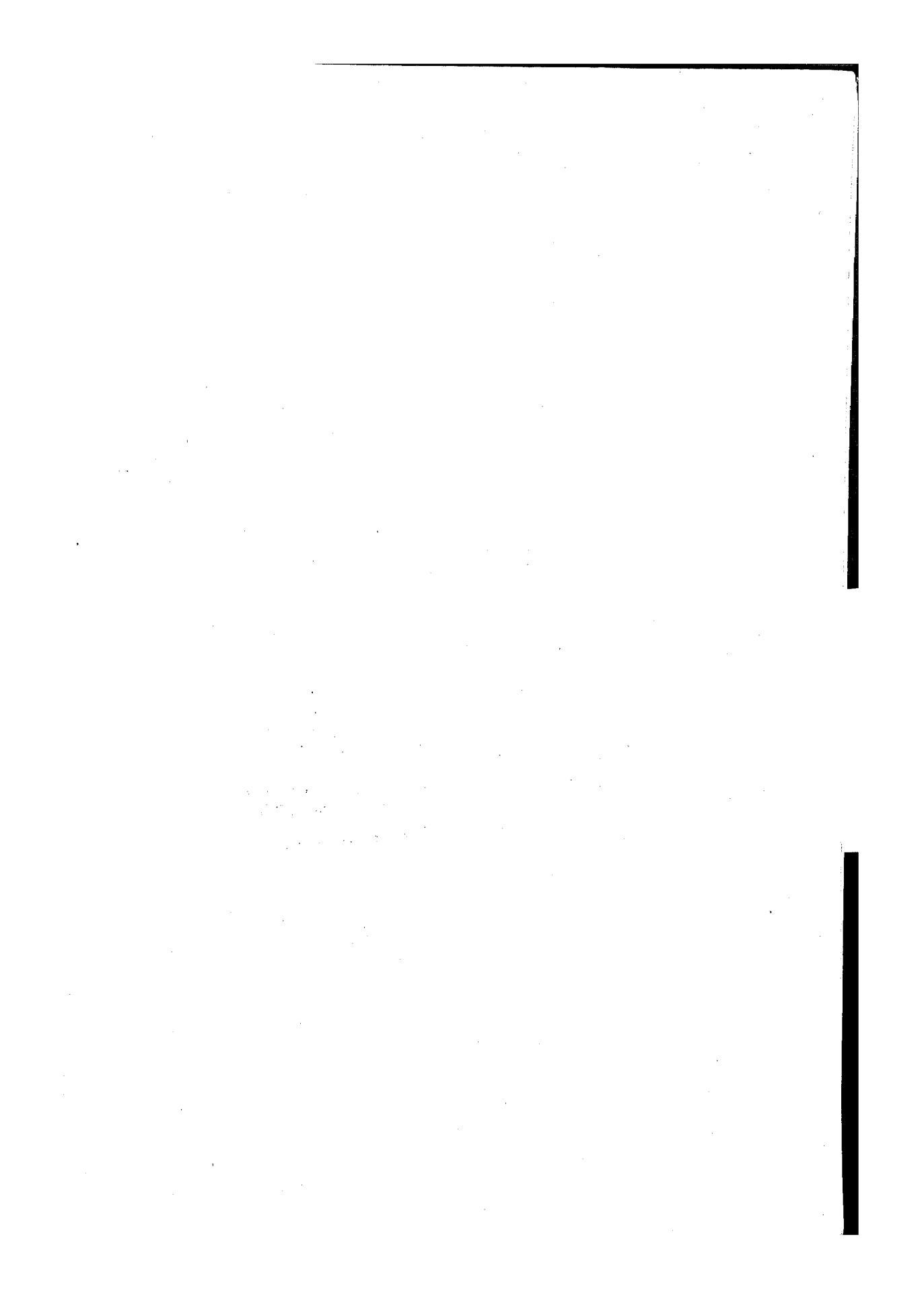


Bibliotheca Alexandrina
0145982

مکتبہ الثقافتی
کراچی - پاکستان



ظهور بارداليان



١٤١٩ هـ

المهنة العامة المكتبة الاسكندنرية	
رقم التصنيف :	٧٠٠
رقم التسجيل :	١٠٠٠٠

ميسال زيفالو

٤٤٣
زيفالو

ظهور بارواليا



General Organization Of the Alexandria Library (GOAL)

Bibliotheca Alexandrina

المكتبة الثقافية

بيروت - لبنان

ص. ٥٠٠ . پ. ٨٧٢٧

الطبعة الثانية

١ الزواج

في احدى غرف المنزل الكبير التي تطل نوافذه على حديقة واسعة
غناء ، جلس شيخ كبير بينضت الاعوام وجهه ، وأحنت الهموم رأسه •
كان بادي القلق ساهي الطرف ، يسأل عن ابنته بين وقت وآخر ،
فنجيبه الخادمة انها في الحديقة يا سيدي ، تتمتع بالرييح والارض
المخضوزة •

واستدار الشيخ قليلا ، فشاهد حصن أسرة موتموراني قائما
أمامه ، فبرقت عيناه حقدا وغضبا ، وقال يناجي نفسه :
- لقد غلبتني على أمري يا صاحب الحصن وامير الجيوش ،
وسلبتني ضياعي واملاكي ، فلم يبق عندي غير هذا المنزل الذي أعيش
فيه ، ولست استبعد ان يستفرك الحقد فتعمد الى اختلاسه ، فأصبح
طريدا شريدا •• اي ابنتي •• اين انت ؟ وما سيكون شأنك فيما لو نفذ
امير الجيوش وعيده ، وطردنا من منزلنا ؟
ودمعت عيناه فمسحها بمنديل في يده ، وفجأة سمع صوت خطوات
في الحديقة ، فرفع رأسه فشاهد فارسا يترجل عن جواده ويدخل عليه •

فقال في نفسه :

- انه ولا شك رسول امير الجيوش .
- ولما مثل الرسول امامه حنى رأسه احتراماً ، وقال :
- اني رسول امير الجيوش احمل اليك بلاغاً .
- وارتعد الشيخ ومضى الرسول يقول :

- وانني لتأسف ان اكون نذير سوء ، ورسول شر ، ولكن ما حيلتي ، وقد وقع اختيارهم عليّ لا بلاغك نسخة من الامر الصادر من البرلمان في باريس مساء امس ، اي في الخامس والعشرين من شهر نيسان سنة ١٥٥٣ وهو يقضي بتجريدك من هذا المنزل الذي تقيم فيه ، ومن الارض التي تحيط به ، وهي الارض التي منحك اياها الملك لويس الثاني عشر ، لترد الى أسرة موتمورانسي ، في مدة شهر من هذا التاريخ .

وخاول الشيخ ان يتمالك أعصابه فلم يوفق . . لقد كان القرار من الهول بحيث فقد أعصابه ، وصاح بصوت متأثراً :

- مولاي لويس الثاني عشر . . ايها الملك العظيم فرانسوا الاول ، ألم تسمعا ما يقوله هذا الرسول الذي يحمل الذل والفقر الى من سفك دمه في سبيل مجديكما ، وخاض اربعين معركة دفاعاً عنكما . . انظر الى هذا الشيخ كيف يطرد من أرضه ، وتسد أبواب الرزق في وجهه .

وتأثر الرسول لما سمع ، وخجل من نفسه فانسل هارباً ، بعد ان ترك البلاغ على كرسي قريب .

وأحس الشيخ دي بيانس بهول النكبة .

لقد كان سيد جميع (بيكارديا) . . . فما زال امير الجيوش موتمورانسي ينتزع منه الارض بعد الارض بما له من النفوذ والسلطان حتى لم يبق له غير هذا المنزل والارض التي حوله ، وهي ارض شحيحة صغيرة ، لم تكن تكفي لمقومات حياته ، هو وابنته ، حتى جاء امير الجيوش

الآن ينتزعها منه ، ويطرده هو وابنته منها شريدين فقيرين •
وتذكر الشيخ ابنته جان ، وهو لم يكن يعيش الا لأجلها ، وكانت
فتاة في السادسة عشر من العمر ، بلغت من الجمال اروعاه ، ومن السحر
اعظمه ، لا ترى العين مثلها حسنا ولا جمالا وقواما •



وكانت (جان) قد خرجت في الساعة السادسة من هذا اليوم كما
كان من عاداتها ان تفعل دائما الى الحديقة ، وانسلت الى غابة الكستنا ،
وهي تدور بنظرها حولها وتقول :

— هل تراني أجسر على أن أعترف له الليلة بسري الهائل المخيف ؟
وفيما هي في شأنها هذا أحست بيد تجذبها اليها ، وفم يطبق على
فمها ، فصاحت :

— فرانسوا •

— ومن تريد ان يكون غيري ايتها الحبيبة • • وكان المتكلم شابا
في مقتبل العمر ، يتألق البشر من وجهه ، والجمال من قدامه وخلفه ،
قويا ، لطيفا ، جذابا •

وكان هذا الفتى فرانسوا دي مونتوراني الابن الاكبر لامير
الجيوش ، الحاقد على الشيخ والد (جان) ، الذي انتزع منه أرضه
الواحدة بعد الاخرى ، قد هام بحب جان وهامت به ، واخذا يلتقيان بين
وقت وآخر في الحديقة في غفلة عن الانظار والعيون •
ومضى العاشقان يتمشيان في الحديقة ، يتناحيان ، ويتحدثان وجان
نقول بين وقت وآخر • • انها خائفة ، فيهدى فرانسوا من روعها ،
ويقول دهشا :

— مم تخافين ايتها الحبيبة وانا معك ؟

قالت :

— اني اشعر بالخوف منذ ثلاثة اشهر ، بعد ان احسست ان صدري
اخذ يخفق ويهتز .

ويمضي الفتى يهدى روعها ، ويقول لها . . . سوف تكونين قريبا
امرأتي امام الله والناس ، فلا تجزعي ولا تخافي . . . وليس يهمني العدا
القائم بين ابويننا ، فاطمأني ولا تقلقي . . لو ان العاشقان لم يكونا في
شاغل بحبهما لسما قهقهة عالية ، حملها الهواء من بعيد ، ولكن الحب
أنساها كل ما حولهما ، فلم يسمعا ، ولم يحذرا .

وطلبت الفتاة من فرانسوا ان يزورها عند مرضعتها عند منتصف
الليل لتتحدث اليه بسرها . . وتقص عليه الخفي من أمرها .

ووعدها الفتى ان يفعل ، وبعد ان ودعها مضى في سبيله .
فوقفت تشيعه قليلا ، حتى توارى عن الانظار ، فسارت نحو منزلها
تفكر في الموعد الذي ضربته له هذه الليلة .
وفيما هي كذلك برز من بين الاشجار فتى في العشرين من عمره ،
ما ان رآته حتى صاحت خائفة :

— أهذا أنت يا هنري ؟

فأجابها بصوت قاس شديد :

— نعم انا هو الشقي بگرامك اليأس من حبك ، لماذا تبدين خائفة
مني ، أليس من حقني أن أكلمك مثل أخي ؟ ثم لماذا تفضلينه علي ، وما
سبب جفائك واعراضك عني ؟

ورفعت الفتاة رأسها بانفة وقالت :

— اني أحبك يا هنري حب أخ لأخيه ، واما شقيقك فرانسوا فقد
وهبته حياتي وقلبي . . . وللتدليل على صدقي في حبك وبرك . . . لم
أتحدث الي فرانسوا بأمرك ، ولا باعترضك لي دائما وابدا .

- انك تكتمين غرامي بك عنه رحمة به ، وما عليك الا ان تخبريه
 بالحقيقة ، ليجرب سيفه مع سيفي •
 قالت بغضب :
- لا تعد على مسامعي مثل هذا الكلام فأنسى انك شقيق من أحب •
 — بلى انا خصمه ومزاحمه لا شقيقه •
 واتقدت عيناه حقدا وغضبا ، وقال :
- ألا تزالين تصرين على جفائي ، وترفضين حبي ، اذن فاحذري •
 فاضطربت جان ورفعت عينيها للسماء وهي تقول :
- أرجو ان يقع وعيدك علي لا عليه •
 فاضطرب هنري لما سمعه منها ، وقال لها :
- الى اللقاء ايها الحسناء •
- ومضى في سبيله وروح الانتقام تشتعل في صدره ، وسارت جان
 نحو المنزل ، وبعد لحظات شعرت بحركة في احشائها ، فارتعشت وخافت ،
 وركعت على الارض وهي تقول :
- رباه اني لم اعد وحدي في هذه الدنيا ، فان في احشائي طفلا
 يريد الحياة لا الموت •



عصفت حب الانتقام بصدر (هنري) ، فلم يعد يطيق صبرا •
 فمضى الى منزل الشيخ دي بيانس وطرق على النافذة ... وكان
 الشيخ في هذه الاثناء يسير كالمحموم في غرفته لا يدري ما يفعل ولا ما
 يعمل بعد ان يغادر منزله ، ويصبح من المشردين .. وما يكون مصير
 ابنته والى من يلجأ بها •

ولما سمع الطرق سمّر في مكانه ، وأخذ يسأل نفسه فيما اذا كانت هذه نكبة جديدة يحملها اليه القدر ايضا .

ذهب الى النافذة يفتحها ، فشاهد هنري دي مونت مورانسي ابن ألد أعدائه ، فاهتز واشتد به الحقد ، فذهب الى غرفة مجاورة يضع فيها سلاحه ، فجاء بسيفين وضعهما على الطاولة .

وكان هنري قد قفز من النافذة ، فأصبح في داخل الغرفة ، وهزّ الشيخ رأسه مشيرا الى احد السيفين ، فأمسك هنري بساعد الشيخ وقال :

— اني لم أزرك لأباركك واو فعلت لقتلتك ، ولكنني لا أحمل لك حقدا في صدري ، ولا ذنب لي اذا كان والدي قد عمل على افقارك وتجريدك من ثروتك .
فصاح به الشيخ :

— ما الذي جئت تفعله اذاً . . . ان وجودك هنا اهانة لي . . . ام ان اباك ارسلك ليرى فيما اذا كان الشيخ لا يزال حيا بعد النكبة التي دهمه بها ؟

فمسح هنري العرق الذي كان يتصبب من جبينه وقال :
— لقد أتيت لاخبرك بأخر الكوارث التي نزلت بك من أسرتنا ، ان ابنتك رضيت ان تكون خليفة فرانسوا دي مونت مورانسي .
بلغ الغضب بالشيخ اشده ، وحاول ان يصفع هنري ، فأمسك هذا بيده ، وصاح به :

— ولتعلم ان ابنتك الآن بين ذراعي أخي . . . تعال اذا لم تصدقني ، وأنظر بعينك .

وجرّ الشيخ بيده الى غرفة ابنته ، فاذا هي فارغة وليس فيها انسان ، وكانت جان قد غادرتها للاجتماع بفرانسوا في منتصف الليل عند المرصعة

كما تم الاتفاق بينهما •
وعندئذ صعد الدم الى وجه الشيخ ، واشتد هول الفضيحة عليه ،
فسقط أرضاً ، وأسرع هنري لما شاهده على هذه الحالة يغادر المنزل
هارباً •

وكانت جان في هذه الاثناء قد وصلت الى منزل المرضعة ، ووقفت
بالقرب منه ، تنتظر حبيبها ، الذي وصل في هذه اللحظة ، واسرع اليها
يعانقها ويقبلها ، ويقول لها :

— ان الوقت قصير يا حبيبتى هذه الليلة ، فقد أتى فارس الى
الحصن يخبرنا ان والدي سيصل بعد ساعة ، وعليّ ان اكون في استقباله
••• فقصي عليّ قصتك ، واعلمي انك تتحدثين لزوجك •••

وأشرق وجه جان لما سمعت كلامه ، وأرادت ان تقول له بأن في قلبها
جنينا ••• ولكنها سمعت في هذه اللحظة صيحة هائلة فارتجفت ورعبت
وصاحت :

— هذا صوت ابي يا فرانسوا ولا بد أن هناك جماعة يحاولون
قتله •

وأسرعت نحو البيت لا تلوي على شيء ، فوصلت بعد ثوان ،
فوجدت والدها جالسا على المقعد في الصالة الكبرى وهو في حالة ذهول،
فطوقته بذراعيها وصاحت :

— ابي •• ابي •• اني ابنتك جان •• وفتح الشيخ عينيه في هذه
اللحظة ، والقى على ابنته نظرة احتقار ، ولم يقل شيئا ، فأدركت انه
عرف سرها ، فجثت امامه على ركبتيها تعترف له بما أخفته عنه ، فلما
انتهت من اعترافها ، امسك بيدها ، وذهب بها الى الباب وقال :

— اذهبي في شأنك فلم يعد لي بنون •• ومادت الارض من تحتها ••

واختنق صوتها فلم تعد تطيق كلاما وسمعت في هذه اللحظة صوتا يقول
من خلفها :

– لقد أخطأت يا ابي .. فلا يزال لك ابنة وابن •
وكان المتكلم هو فرانسوا دي مونتورانسي ، الذي تقدم الى
الشيخ وأمسكه بيده وقال له :

– أتريد ان تقبلني زوجا لابنتك وولدا ؟
فصاح الشيخ :

– أتريد أن تتهكم عليّ بعد أن فضحتني ؟
– أبدا اني اقول الحقيقة ، وانا احب ابنتك وأريد ان تكون
زوجة لي •

فقال الشيخ :

– ولكنك ابن امير الجيوش ، وانت تعلم ما بيننا من الخلاف
والعداء ؟

فقال الشاب :

– ولكن زواجي بابنتك سيزيل هذا الخلاف ، قل كلمتك يا
ابي ... فان سعادتني وسعادة ابنتك بين شفتيك •
ففرح الشيخ ، وكاد يبارك العاشقين ، ثم خطر له خاطر فتردد ،
وسأل فرانسوا :

– متى سيكون عقد الزواج ؟

فقال الشاب ، وقد أدرك ما يجول بخاطر الشيخ :

– الآن !

وكان الخدم قد أفاقوا ، فأمرهم فرانسوا بحمل الشيخ الى الكنيسة،
ليعقد لهم كاهنها ، عقد قرانهم •
وبعد دقائق عشر ، كان كاهن كنيسة (مار جنسي) يصلي صلاة

الصباح ، وخلفه فرانسوا وجان وورائهما والدهما الشيخ وخدم المنزل
وبعض المصلين القلائل .

ولما فرغ الكاهن من الصلاة، عقد زواج العاشقين وباركهما، وربط
بينهما بهذه الصلة الابوية السماوية ، ثم عاد الجميع الى المنزل ، يحملون
الشيخ معهم ، وكانت دلائل الفرح والسرور ظاهرة على وجهه .. بادية
في كل حركة من حركاته .

ولما ركعا امامه ليباركهما افتر ثغره عن ابتسامة عريضة ، ولم يستطع
الكلام ، فرفع يده فوق رأسيهما ليباركهما ، ثم اغمض عينيه ومات .
لقد مات الشيخ من الفرح ، بعد أن كاد يقتله الحزن والاسى .

الاخ الغادر

كلف فرانسوا المرضعة بالعناية بزوجته ، على ان يعود اليها صباحا بعد ان يشاهد والده ويتحدث اليه •
ومثل الشاب امام والده الذي كان جالسا في قاعة السلاح المفروشة بالسجاد الثمين والمتألثة بالانوار والمشاعل ، وفيها صور اجداد امير الجيوش معلقة على الجدران ، وقد حفّ به عدد من رجاله لا يقل عن خمسين من قواده وحراسه •

وتقدم الشاب الى أبيه الذي لم يكن قد رآه منذ اشهر عديدة ، فحنى رأسه مسلما ، ثم أخذ مكانه الى يمينه ، فيما كان شقيقه هنري يقف الى يساره ، وليس من همه غير الكيد اشقيقه ولعروسه •
ولحظ فرانسوا ان والده امير الجيوش كان جاهم الوجه بادي التفكير ، فقدر ان في الجو شيئا ، فلزم الصمت ، ينتظر ما سوف يقوله والده •

وتكلم امير الجيوش ... فقال :

— لقد كان من المعتقد بعد ان خسر الامبراطور شارل الاسباني المعركة تحت اسوار مدينة ميترز في شهر كانون الاول الماضي ، ان لا يعود لحرنا ثانية ، وان لا تستطيع اسبانيا بعد هذه المعركة الوقوف على قدميها •• ولكن هذا الامبراطور الحديدي ما لبث ان نظم شمله ، وجمع جنوده وعاد ليحاربنا من جديد •

« وقد عرفنا البارحة انه في طريقه للاستيلاء على (بيكارديا) وان قوة من المدفعية تزحف نحو (تيروان) فان استطاعت فتحها ، فكأنها تمكنت من فرنسا ••• ولهذا تم الاتفاق بيني وبين جلالة الملك هنري الثاني ، ان يحتشد جيشي في باريس حتى اذا انتهى من استعدادة زحف لملاقاة العدو •

« وفي اثناء هذا علينا ان نرسل فرقة مؤلفة من النفي فارس ، تسرع الى تيروان لتدافع عنها ، وتمنع العدو من الوصول اليها » •

وصاح جميع القواد يؤيدون الفكرة ، وينادون للحرب والقتال •
وعاد امير الجيوش يتكلم فقال :

— وعليّ ان اختار لهذه الفرقة قائدا جريئا باسلا ، وقد وقع اختياري على اكبر اولادي فرانسوا •

وذعر فرانسوا حين سمع هذا الخبر ، وسأل والده بصوت قانط :
— اخترتني انا يا ابي ؟

— نعم •• لقد وقع اختياري اليك ، وعليك ان تقوم بانقاذ ملكك وأبيك ووطنك ، والفرقة التي اخترتها تقف الآن خارج هذا الحصن فتهياً للسفر بعد ربع ساعة ، وتوجه على التو الى (تيروان) لتدافع عنها او تموت •

ثم التفت الى ولده الثاني هنري ، فأمر بالبقاء في الحصن ، والاستعداد للدفاع عنه ، حتى لا يهاجم على حين غرة •

ففرح هنري فرحا شديدا بهذا القرار ، وأدرك ان (جان) أصبحت تحت رحمته ، بعد ان خلا له الجو فلم يبق هناك من يحميها منه .

اما فرانسوا فقد حاول ان يعتذر لوالده ، او يحمله على تكليف غيره بهذه المهمة ، فلم يوفق ، فاهتاج وذعر وفكر في زوجته الصغيرة ، التي سوف يتركها وحيدة فريدة بعد وفاة والدها ، وقال لنفسه :

— يا للهول ... كيف أتركها لمصيرها هذا ؟

واستبد الغضب بأمر الجيوش لما شاهد تردد والده ، وأمره بالاسراع الى جواده ، والمضي على رأس فرقته ، فلما طلب الشاب مهلة ساعتين او ساعة ، اشتد الغضب بأمر الجيوش وصاح به :

— فرانسوا دي مونتمرانسي ... اني اقبض عليك بيدي ، لانك أهنت الاسم الذي تحمله ، وانت اول رجل من اسرة مونتمرانسي خاف الموت منذ خمسة اجيال .

وشمخ الفتى برأسه .

وقرر الذهاب الى الموت لينفي عن نفسه التهمة .. ونسي زوجته الصغيرة ، واحلامه ، واماله ، وقال لوالده :

— لتنقض الصاعقة على من يقول ان ابن مونتمرانسي يخاف الموت .. سأسافر كما أمرت بعد ربع ساعة ، ولكنني سأناقشك الحساب اذا عدت حيا .

ومضى والغضب يعصف بقلبه نحو الباب ، حيث طلب ان يعدوا له جواده ، ثم دعا شقيقه هنري اليه ، وأخبره بقصته ، وكيف انه عقد قرانه على جان دي بيانس ، وكيف مات الشيخ والدها منذ ساعتين ، فأصبحت الزوجة الصغيرة والحالة هذه فريدة وحيدة ..

تظاهر (هنري) بالذهول والدهشة ، كأنه لا يعلم شيئا عن علاقة شقيقه بجان ، ومضى فرانسوا يوصي شقيقه بزوجه ، وان عليه العناية

بها وتعهد مصالحها وحمايتها ، وطلب منه ان يقسم على ذلك *

فأقسم هنري وهو يرتعش *

ومضى فرانسوا يقول :

— أتقسم لي اني اذا عدت من هذه الحرب سالما ان اشاهد زوجتي

في بيت والدها سعيدة ناعمة .. واذا مت ان تتحدث الي والدنا بسري

وزواجي لتحصل زوجتي على كل اموالي *

اقسم هنري لشقيقه على الوفاء بعهده له، فانشرح صدر الاخ الاكبر،

والتفت نحو منزل امرأته فبكى وقال :

— الوداع ...

ثم مضى يقود فرقته الى الحرب والقتال ، وهو يقول :

— هلموا بنا الى الموت ايها الابطال *

— الى الموت ... الى الموت ...

وتنهذ امير الجيوش لما سمع صوت ابنه ، وصياح الجنود ، ثم

امتطى جواده ، وسار في طريق باريس ، تاركا ابنه (هنري) لحراسة

الحصن *



أقبل هنري في ساعة مبكرة من صباح اليوم التالي لزيارة جان في

بيتها ، فوجدها لا تزال جالسة امام جثة ابيها التي وضعت في القاعة

الكبرى ، وهو يرتدي ملابس الرسمية وحسامه بيده *

وظنت (جان) لما سمعت وقع جوافر جواد ان فرانسوا قد أقبل

لرؤيتها كما وعد ان يفعل ، فأسرعت الى الباب فاذا بها تشاهد هنري

امامها .. فوقفت دهشة ذاهلة لا تدري ما تقول :

وقال هنري :

— اني احمل اليك خبرا سيئا *

فارتعشت وقالت :

— ماذا حدث ؟

— لقد سافر فرانسوا *

— ولكنه سيعود بالتأكيد *

— بل انه لن يعود *

وضعت جان يدها على قلبها ، مخافة ان يتمزق ، فقد خشيت ان

يكون فرانسوا قد تخلى عنها وتركها *

— لقد عادت الحرب فوقعت ، فطلب اخي من والدي ان يذهب

لانقاذ المحصورين في (تيروان) وليس معه غير الفتي فارس فكأنه قد

التمس الموت وسعى له .. مفضلا ذلك على الانتحار ، لتسرع في عقد

قرائه بك ، ورفض والده الموافقة على هذا الزواج فقرر الموت على الحياة *

سقطت الفتاة أرضا من هول الصدمة ، ورفعت رأسها الى السماء

وهي تقول :

— رباه ماذا اصنع بولدي ، ومن سوف يعوله ؟

وفكرت في الامر ثم قررت ان تذهب الى (تيروان) حيث يوجد

زوجها ، ولكن هنري منعها ، واسرع يضمها الى صدره ، وهو يقول :

— لقد جبن وسافر وتخلى عنك ، فهو لا يستحق منك حبا ولا

تضحية ، واما انا فأعبدك وأحبك حبا أقتل معه والدي ان اعترضني

ومنعني *

ومضى في مثل هذا الكلام ، وهي تحاول جاهدة ان تدفعه عنها ،

حتى تمكنت من تحرير نفسها فصاحت به ، واثبتته على عمله ، وردته

ردا قبيحا ، فصاح بها :

— ألا تعلمين انك هنا في منزلي ، وان من كان في منزل سواه ، لا يتقيد بهذه القيود •

فلم تدرك جان غرضه ، وقالت :

— انت في منزلك •

— نعم وقد صدر امر من البرلمان باتتزاع هذا المنزل من ابيك

وتسليمه الى والدي •

فلما سمعت جان منه هذا الكلام اسرعت الى صندوق يضع فيه والدها أوراقه ، ففتحته وقرأت قرار البرلمان ثم القته ارضا وصاحت تدعو خدماها اليها ، فلما مثلوا امامها ومعهم بعض الفلاحين قالت :

— اعلموا اني لست هنا في منزلي •

فقال هنري مؤنبا :

— سيدتي •••

فلم تعبا جان به وأمرت الخدم والفلاحين ، فحملوا جثة أبيها ، وسارت خلفهم ، حتى وصلوا الى دار مرضعتها ، فدفنت والدها في مكان قريب •• ثم أغمي عليها وفقدت رشدها فكانت تهذي ، وتبكي وهي لا تعلم ماذا تفعل •



قضى هنري ليلة مريعة ، يندم فيها تارة على ما فعل ، ثم يستبد به الغضب حين يذكر طردها له ، وردها لوجه •• فيحتاج ويعود الى ثورته العارمة ، ووجه الشديد •

ذهب يروود في اليوم التالي حول منزل المرضعة فعلم ان جان مريضة ، مرضا شديدا ، فسقط الخبر عليه سقوط الصاعقة ، ومضى يدور حول المنزل كل يوم مستطلعا اخبارها ، وغرامه لا يزيد الا ثورة وتوقدا •

ومضت أشهر وأتت الاخبار بسقوط مدينة (تيروان) بيد الامبراطور شارل الاسباني ، وابداء الحامية ، ومقتل فرانسوا شقيقه ، فعاد اليه الرجاء بعودة جان له بعد وفاة زوجها ، وحدث ذات يوم ان شاهدها بملايس الحداد من نافذة منزل المرضعة، تحمل طفلة بيدها تقبلها وتناغيها، فخطر له فكرة جهنمية ، وهي ان (جان) قد شفيت من مرضها ، وان باستطاعته ان يخطفها ويأتي بها الى الحصن كما كان يفعل النبلاء في تلك العصور .

وكذلك عاد الى الحصن وهو يدرس هذه الخطة في طريقه ، فشاهد فارسا مقبلا من بعيد ، فلما شاهده الفارس عرفه وترجل عن ظهر جواده، وأنبأه ان شقيقه فرانسوا قد تمكن من النجاة من الاسر ، وانه قد أرسله قدامه ، ليبشر أهله بنجاته ، وليطمئن من يحبهم الى مصيره .

وعندئذ تصعد الدم الى وجه هنري ، واخذ يهدد السماء بقبضته فقد كان من المفروض ان يقضي نجاة شقيقه على خطته ، وان يفتضح أمره ، وما فعله من محاولة انتهاك شرف امرأة أخيه .

وكانت جان قد قضت أربعة أشهر في منزل المرضعة وهي تعارك المرض الذي ألمّ بها حتى تمكنت من التغلب عليه اخيرا ، وتمائلت الى الشفاء ولكن آلام الوضع ما لبثت ان عاودتها ، فعادت الى سريرها لتضع فتاة اسمها (لويزا) باسم امها .

ومضت الايام والطفلة الصغيرة تنمو ، كالزهرة الحلوة ، فكانت جان اذا نظرت اليها تدرك انها ستكون آية في الحسن والجمال ، فتأسف لان والدها لم يرها ولم يشاهدها ، وتقول في نفسها :

— يا اله بي... كيف ستعيش فتاتي هذه من غير أب ؟
« أحقا انه تركني وهجرني خوفا من العار الذي لحقه بالزواج بي...
أتراني لن أراه بعد اليوم ؟

« يا الهي لقد انقطعت أخباره عن الناس ، فهل هو لا يزال حيا ام مات في المعركة ؟ »

ومضى الشتاء وجان تلازم البيت لا تغادره الى الخارج مخافة ان تلتقي بهنري الذي كانت تخافه وتحترقه .

وأقبل الربيع ، وفي ذات يوم من ايام شهر مارس ، غادرت الموضع البيت مع زوجها لجلب بعض الحطب ، وبقيت (جان) في المنزل مع فتاتها الصغيرة وحدها ، فسمعت قرع الباب ، فأسرت تفتحه ، فاذا بها امام عجوز يتسول ، فمضت الى المطبخ لتقدم له قطعة من الخبز ، دفعتها اليه معذرة ، فشكرها ومضى في سبيله ، واقلمت جان الباب ، وعادت الى غرفتها وفتاتها ، فلم تجدها في سريرها ، فصاحت صيحة منكرة ، واسرعت الى الغابة تبحث عنها وقد أدركت ان شخصا قد اختطفها، ومضت الساعات دون جدوى ، ودون ان تشعر على أثر لها ، فعادت الى غرفتها وقد همت بالانتحار لولا ان فكرت بصغيرتها .

وعندئذ سمعت صوتا ، فاستدارت فاذا بها تشاهد هنري دي مومتوراني يقفز من النافذة اليها ، فجمد الدم في عروقها وقالت :

— أهذا أنت ... اني لا أراك الا في لحظات الشقاء والمحن .
قال لها :

— أنت تبحثين عن ابنتك منذ ساعات ، ولن تجدينها ، لاني انا الذي اختطفتها ، وعليك ان تصغي اليّ الآن .
— اتخطف ابنتي ايها الشقي ، وتنتظر مني ان اسكت .. سوف ترى ما تفعله الامهات .

وتقدمت نحوه فأمسك بيدها ، وقال :

— اصغي اليّ اذا كنت تريدين ان تشاهدي ابنتك .
قالت :

— رحماك رد اليّ ابنتي وسوف أعفو عن كل ما اجترمته وفعلته
نحوي •
قال :

— ان ابنتك عند رجل من رجالي وقد اتفقت معه على ان اقف امام
هذه النافذة وارفع قبعتي فيقتلها حالا •
وأسقط في يد الام المنكودة فسقطت أرضا ، ورفعت يديها خاضعة
مستسلمة •
فقال :

— ان فرانسوا أخي قد عاد سالما الى الحصن ، وسوف أتهمك تهمة
كاذبة أمامه ، فاذا أنكرت ما أقوله او فهت بكلمة ، رفعت قبعتي للرجل
فيقتل ابنتك ، أنظري لقد أقبل أخي •
ونظرت جان عبر النافذة ، فاذا فرانسوا زوجها مقبل حقا ، فصاحت
تستنجد به :

— اليّ ••• اليّ ••• يا فرانسوا •
فلما سمع هنري صرختها قال لها بصوت رهيب :
— اذا أردت قتل ابنتك فأنت وشأنك •
فانخلع قلب الام وقالت :
— رحماك لا تفعل ••• سوف أفعل ما تأمرني به •
وفتح الباب في هذه اللحظة ••• ودخل فرانسوا والارض لا تسعه
من شدة الفرح والسرور •



كان فرانسوا قد أسر في تيروان اثناء المعركة ، ثم اطلق سراحه عند

عقد الصلح ، وعاد الى الحصن ، فاستقبله الجنود والضباط وأهالي
الضاحية استقبالا حافلا ، ووقف حاكم المقاطعة يريد القاء خطاب يرحب
بوصوله ، فقاطعه فرانسوا وسأله عن أخيه . . . وكيف لا يراه في استقباله
فأجابه انه في (مارجنسي) ، فقلق فرانسوا لوجود اخيه عند زوجته ،
ولكن جواده متوجها نحو المنزل ، فلما وصل اليه وجده مقفلا ، فسأل
شيخا وجده قريبا عن زوجته .

— انك تجدها هناك في منزل المرضعة يا مولاي .

فسأله فرانسوا :

— لماذا تدعوني مولاك ؟

فأجابه الشيخ :

— أليس هذا المنزل لكم الآن ؟

فسكت فرانسوا وأسرع يعدو بجواده نحو منزل المرضعة ، ودفع
الباب فوجد جان في غرفتها فصاح صياح الفرح ، وبسط ذراعيه ليعانقها .
ولكن جان لم تتحرك من مكانها .

وبان الذعر على وجهها . . . وحاولت ان تتقدم نحو زوجها فتعانقه
وتقبله ، ولكنها نظرت الى هنري فوجدته ممسكا بقبعته ، حتى اذا
تحركت اشار . . . فكانت القاضية على ابنتها .

وأحس فرانسوا بأن قلبه يكاد يتمزق في احشائه ، وأخذ ينظر الى
زوجته وأخيه ، وقد وقفا جامدين أمامه ، ثم تمالك نفسه وقال :

— اني لم أحب امرأة في حياتي حبي لزوجتي ، ولم يخفق قلبي الا
لها ، ولما سقطت في المعركة كنت أردد اسمها على شفتي ، ولما اصبحت
اسيرا ، لم اكن افكر الا فيها ، فلما أفرج عني ، كان من اسعد ساعات
حياتي ان اجتمع اليها واقبلها ، حتى اذا لقيتها ، وجدت جامدة لا تتقدم
نحوي ، ووجدت شقيقي لا يجسر على ان يرفع نظره الي .

وصعقت جان لهذا الكلام ، فقد كانت تحب زوجها حب عبادة ،
وتود من كل قلبها ان تندفع اليه وتقبله ، ثم تتذكر ابنتها ، فتخشى ان
تكون السبب في موتها •• وهي الطفلة البريئة التي لم تقترب ائما
ولا ذنبا •

وتكلم هنري الآن ، فقال لأخيه ، انه قد اضطر الى طرد زوجته ،
لانه خاتته ، ودنست شرفه •

وهاجت جان وماجت وحاولت ان تتكلم ثم تذكرت ابنتها فسكتت •
وزأر فرانسوا وكاد يسقط أرضا من هول الصدمة ، والتفت الى
زوجته وسألها :

— أحقا ما يقول ؟

وخارت قوى المسكينة فسقطت أرضا وهي تقول : « لأمت أنا
ولتعش ابنتنا » • ثم أغمي عليها •

وغادر فرانسوا المنزل على الاثر وقد اسودت الدنيا في وجهه ،
وسار هنري خلفه لا يأبه لما أصاب جان ، وهو يقول في نفسه :

— اذا عاشت فستكون لي ، واذا ماتت استرحت من عذاب الغيرة
الذي سوف يلازمي ما دامت مع أخي •• وبين ذراعيه •



استشعر هنري في هذه اللحظة انه يبغض شقيقه بغضا عظيما ، لان
جان فضلته عليه ، واحبته دونه •

وكان يشعر وهو يسير خلفه برغبة ملحة في المزيد من الانتقام منه ،
فلما التفت فرانسوا خلفه ، وكانت قد هدأت ثورته بعض الشيء ، وشاهد

هنري سألته عن حقيقة ما حدث وما جرى •

– وما الفائدة من ذلك ؟

– أريد ان اقتص من الرجل الذي خدعني •

فاضطرب هنري •• ثم برقت عيناه وقال :

– اتريد حقا ان تعرف اسمه ؟

– نعم •• واني آمرك ان تفصح لي عن اسمه •

– اذآ فاعلم ان امرأتك كانت تحبه قبلك ، وتفضله عليك ، ولم تقبل

الزواج بك الا للقبك ومركزك •• فكانت خليلته قبل ان تكون زوجتك •

فآن فرانسوا انين القانطين •• حتى خافه هنري وتوقف عن الكلام

•• فصاح به فرانسوا ليمنض في حديثه •

فقال هنري :

– ولقد سارت العلاقات الغرامية بين زوجتك وهذا الرجل على

احسن ما يرام في غيابك •• ولكنه لما علم بقرب وصولك قرر طرد هذه

المرأة الخائنة ، واذا كنت تريد ايها الاخ العزيز معرفة اسم هذا الرجل ،

فاعلم انه يدعى هنري دي مونت مورانسي •

في طريق باريس

كان هنري دي مونتمرانسي قد كلف رجلا يعرفه هو الشفاليه دي بارداليان بقتل ابنة جان حين يرفع قبعته امام النافذة .

وكان الشفاليه من اسرة محترمة فقيرة ، في الخمسين من عمره ، عانى الحروب ، ولوحت الشمس وجهه ، طيب القلب عصبي المزاج ، يخاصم الناس لاقبل سبب ، يبيع سيفه لمن يدفع المبلغ الارفع ، عاش حياته فقيرا يبحث عن الثروة فلا يحصل عليها .

وكان امير الجيوش قد تعرف عليه في اثناء بعض المعارك فاعجب بجرأته ، ودعاه الى حصنه ، حيث الحقه بخدمة ولده هنري .

وفطن هنري الى انه بحاجة الى رجل قوي البأس ، حديد السيوف ، يعتمد عليه في مغامراته ، فلم يجد غير بارداليان لمثل هذه المهمات ، فقربه اليه بالنوال والعطاء ، حتى اصبح من اخلص المخلصين له .

ولما عرف هنري بان شقيقه فرانسوا في سبيله الى الحصن ، بعد ان اطلق سراحه ، خشى العاقبة ، وخاف افتضاح امره ، وشكوى جان لزوجها سوء اخلاقه ، وما حاوله من تقيلها ، وطرده لها من المنزل ، بعد

ان وعد شقيقه بالمدافعة عنها وحمايتها ، فخطر له المكر بها وبشقيقه ، وكلف باردليان بخطف الطفلة ، ووهبه خاتما ثميناً ، وطلب منه قتلها عندما يرفع قبعته ، وقد ضاق صدر باردليان من هذا الطلب ، فلم يكن من عاداته قتل الاطفال ، ولا سرقة الاولاد ، وقد فعل ما فعل اخلاصاً منه لهنري وجبا به ، فلما عرف ما يريده منه تنكر لذلك ، وقرر ان لا يقتل الطفلة لو طلب منه ذلك ، وان يغادر الحصن ، عائداً الى حياته السابقة ، من التشرذم والفقر .

ولكن اساريه ما لبثت ان اشرقت حين شاهد فرانسوا يغادر بيت المرضعة وخلفه هنري ، دون ان يكلفه الثاني بقتل الطفلة . وغادر الحصن على الاثر ، حاملاً الطفلة معه فلما بلغ منزله الكائن عند باب الحصن ، استقبله فتى صغير في الخامسة من عمره ، فابتسم باردليان الاب له وقال له :

— لقد جئتك يا صغيري بطفلة صغيرة ستكون اختك .
ثم نادى خادمته ، ودفع اليها الطفلة لويزا ، ودعاها الى العناية بها ، وعدم التحدث بخبرها لاحد .

واسرع الغلام الى لوزيرا الصغيرة يضمها الى صدرها ويقبلها ، فتأثر باردليان الكبير لهذا المنظر ، وفكر في ام هذه الصغيرة ، وما يكون عليه حالها بعد اختطافها ابتها . . . وفكر فيما يكون شأنه هو نفسه وحزنه فيما لو حاول احد اختطاف فتاه الصغير .

وضاقت به الدنيا حين وصل في تفكره الى هذا الحد ، فغادر المنزل الى منزل المرضعة ، ووقف تحت النافذة ، اعلمه يسمع صوتها ، او يشاهد وجهها . . . وكانت جان في هذه اللحظة قد عادت الى نفسها ، وعادت تندب حظها ، وتبكي لاختطاف طفلتها ، ثم تقول متحدثة الى نفسها :
— ولكن هذا النمر الكاسر ، وعدني برد طفليتي اليّ اذا اطعته ولم

أكذبه امام شقيقه وهو لا بد ان يفعل *
« واما انت يا فرانسوا .. يا ملاكي المحبوب .. فلا تصدق كلمة مما
فاله هذا الوحش ، فما كنت لك ابدا من الخائنين *
« ان هنري نذل سافل خطف ابنتي ، وفجعني بها .. اين انت يا
صغيرتي .. الا تسمعين نداء امك الحزينة الباكية ؟ » *

واصفر وجه بارداليان ، وارتعدت فرائصه ، وادرك هول ما فعله ،
فاسرع الى منزله لا يلوي على شيء ، ونادى الخادمة لتوقظ صغيره ،
وتلبسه ملابسه ، لانهم سيسافرون ، وتدعو الخادم ليحضر جواده ، ثم
حمل الطفلة وذهب الى بيت المرضعة حيث تقيم امها *
وكانت جان لا تبرح تنادي ابنتها ، وتدعوها اليها ، والمرضعة ترجوها
ان تذهب لسريها لتأخذ لنفسها بعض الراحة ، والام ترفض ، وتصيح
.. لويزا .. لويزا .. حتى لقد خيل للمرضعة انها قد جئت ، وكان ان
وصل بارداليان في هذه الاثناء *

وكانت جان تحوم امام الباب ، فلما شاهدت خياله اسرعت اليه ،
وانتزعت الصغيرة من يده ، وذهبت بها الى غرفتها وهي تقبلها ، وتبكي ،
حتى اذا هدأت ورفعت نظرها وشاهدت بارداليان امامها زحفت على
ركبتيها نحوه ، واخذت يده تقبلها ، وسألته كيف حمل ابنتها اليها ، فقال:
- لقد شاهدت رجلا اعرفه يحمل هذه الطفلة ، فسألته عن شأنها ،
فلما حدثني بخبرها اتيتك بها *

- اذكر لي اسمك لاذكرك ما حييت *

- لا فائدة من معرفة اسمي *

فقالت :

- اذا اذكر لي اسم الرجل الذي اختطف ابنتي واراد قتلها .. لالعه

الى الابد *

فارتعد بارداليان ، وعضّ على شفّتيه ثم قال :
- ان هذا السفالك يا سيدتي يدعى الشفاليه بارداليان •
ثم غادر المنزل لا يلوي على شيء •



لما اصبح الشقيقان في الغابة ، التفت فرانسوا الى شقيقه وقال له :
- اذا فأنت الذي خنت عهدي ، ومزقت عرضي ، فتأهب للموت •
وذهل هنري لما سمع الاذكار ، والتحم الشقيقان وتمكن فرانسوا من
شقيقه فطعنه طعنة اصابته صدره ، فسقط ارضا ، وكان ان اقبل اثنان
من الحطابين في هذه اللحظة على صوت صليل السيوف ، فاشار فرانسوا
الى شقيقه المسجى ارضا ليحملاه ، ثم مضى نحو الحصن وهو يقول لنفسه:
- اذا مات فقد نال جزاءه ، وان شفّتي من جراحه ، فسيقتله الخجل
والتفريع مدى حياته •

ولما وصل فرانسوا الى الحصن ، طلب ان يعدوا له جواده فلما فعلوا
ركبه معلنا للضابط الذي اسرع لتحيته انه لن يعود ابدا •
وفي هذه اللحظة ترددت في الغابة صيحة امرأة تقول :
- فرانسوا •• فرانسوا ••

ولكن فرانسوا لم يسمع هذا النداء ومضى في سبيله ، وبعد قليل
وصلت امرأة الى باب الحصن ، وقالت تسأل احد الجنود :
- الى اين ذهب فرانسوا ؟

- من يعلم يا سيدتي •

- ومتى سيعود ؟

- لقد اخبرنا انه لن يعود ابدا ؟

— والى اين تؤدي الطريق التي سلكها ؟

— الى باريس •

فشكرت جان الجندي ، وسارت تحمل ابنتها بين يديها في طريق

باريس خلف زوجها •

وكانت جان بعد ان عادت اليها ابنتها قد قرزت الذهاب الى الحصن لتقضى على زوجها جلية الخبر ، وتخبره بكذب هنري وسفاته ، بعد ان اطمأنت الى سلامة فتاتها ، ولكنها وصلت متأخرة كما قدمنا ، فقررت ان تتبع زوجها ولم تكن تعرف باريس ، ولا تملك مالا ، ولا تحمل من الملابس الا ما كانت تلبسه ، ومع هذا فانها لم تلق بالا لهذا كله ، وقررت المضي في سبيلها والبحث عن زوجها •

وكان ان وصل الخطابان الى الحصن ، بعد ساعة من الزمن يحملان هنري ، فاضطرب الضباط والجنود منه ، واستدعوا الطبيب ففحصه وقرر انه سوف يعيش ولكنه لن يبرح فراشه قبل ستة اشهر •

ولم يدر في خلد احد من سكان الحصن ، ان فرانسوا هو الذي بارز شقيقه وجرحه ، فقد خيل لهم ان بعض اللصوص قد هاجموه وجرحوه • وازم الخطابان الصمت ، فقد عرفا فرانسوا ، ولكنهما خشيا ان يذكر اسمهما فينتقم منهما في المستقبل •

وكان بادريان في الوقت نفسه قد غادر الحصن مع ابنه ، في طريق باريس ايضا ، لانه خشي انتقام هنري منه ، فيما اذا عرف برد الطفلة الى امها •

فلما كان في الطريق التقى جان وابنتها ، فخفق قلبه وسألها عن شأنها

فاخبرته انها في طريقها الى باريس •

سألها فيما اذا كانت تعرف احدا فيها •

فاجابت بالنفي •

طلب منها ان يحملها على جواده فرفضت طلبه وشكرته •
سألها فيما اذا كانت تملك مالا فقالت :
- كلا ••

فما كان منه الا ان اقترب منها ، ووضع في يدها خاتما من الماس وهو
يقول :

- سيدتي ارجوك ان لا تلعني الشفاليه بارداليان فانه من اصدقائي •
ثم لكز جواده مسرعا حتى تواري عن الا نظار •
وعرفت جان الرجل حالا ، فهو الذي رد اليها ابنتها •
ثم نظرت الى الخاتم الذي كان يلمع في يدها فاذا به قطعة ثمينة من
افخر انواع الماس ، وقد كان هنري قد اهداه لبارداليان لما كلفه بخطف
الطفلة •



وصلت جان الى باريس بعد صعوبات هائلة •• وذهبت الى قصر
امير الجيوش تسأل عن فرانسوا ، فلما لم تجده ، طلبت مقابلة الاب ،
فرضي باستقبالها •

وكان قد عرف بزواج ابنه منها ، فنصت عليه قصتها ، وما فعله
هنري معها ، وكيف اتهمها بالخيانة بعد ان رفضت حبه ، فاختطف ابنتها
وهدها بقتلها ان لم تعترف بخيانتها امام زوجها •

ولم يكن امير الجيوش يعرف بالخلاف الذي نشب بين ولديه احب
كل واحد منهما لجان ، ولكنه كان قد عزم على ابطال هذا الزواج وتزويج
ابنه الاكبر وخليفته من امرأة نبيلة اخرى ، فما زال بجان يهددها بسجن
زوجها ، او بقبولها الطلاق منه ، حتى اضطرت مرغمة الى القبول •• رحمة
بزوجها ، واشفاقا عليه •

وتمت المصادقة على الطلاق من البابا والملك ، وفي سنة ١٥٥٧ مات
امير الجيوش ، وعين الملك فرانسوا مكانه ، وعقد زواجه على ديانا دي
فرانس ابنة الملك هنري الثاني *

وقد ذهب فرانسوا للاجتماع الى زوجته المقبلة قبل اسبوعين من عقد
الزواج الرسمي ، فحدثها بغرامه السابق ، وزواجه ، وما تم من الطلاق
بعد ذلك ، وان الحب على الاثر قد مات في قلبه ، وانه سعى للموت غير
مرة ، ولكن الموت كان يهرب منه ، وانه والحالة هذه لا يستطيع ان يقدم
لزوجته الجديدة غير الحب الاخوي والاخلاص الطاهر *
وتقلبت (ديانا) عرضه هذا بهدوء ، وقالت له :

— اني سأحترم حداد قلبك **

ومننت نفسها بالتحايل على قلبه في المستقبل *
وكذلك لم يكن فرانسوا يجتمع الى اخيه او يراه لان كلا منهما كان
يبتعد عن الآخر ، ولكن الاخوين كانا لا يزالان يجبان (جان) ويبحثان
عنها فلا يوفقا *

واما (جان) فانها بعد ان وقعت على صك طلاقها ، سقطت مغشى
عليها ، فلم تعرف كيف غادرت القصر ، وكيف نقلت منه ** ولا كيف
صرفت حياتها التي تتابعت بائسة فقيرة ، تبكي حبها ، وتحنو على ابنتها *
وكانت في هذه الاثناء ، تعيش في منزل حقير يقع في شارع سانت
دنيس مؤلف من ثلاثة غرف ومفروش ببسط الاثاث ، ولكن النظافة كانت
بادية في كل غرفة من غرفه *

وكانت الى هذا لا تزال محتفظة بجمالها ، وانوثتها ، كما ان فتاتها
كانت قد بلغت السادسة عشرة من العمر ، اها شعر اسود جميل ، وقامة
هيفاء ، ووجه كالقمر ، وان كانت ابدا بادية التفكير ** ظاهرة القلق **
كأنما كتب عليها القدر ان تكون كامها شقاء وبؤسا *

وكانت (لويزا) تطرز وشاحا لما دخلت عليها امها ، فرغبت الام فسي
مساعدة ابنتها ، فرفضت لويزا ، فقالت الام :

– العلك نسيت ان علينا ان نسلم الوشاح هذا اليوم لصاحبه
(ماري توشيت) •

– لماذا لم تخلق اغنياء كهذه السيدة ، ولماذا كتب الله علينا ان نعمل
للآخرين لنعيش ؟

وفكرت (جان) فيما يكون عليه حال ابنتها لو اخبرتها انها ابنة امير
الجيوش موتموراني •

ولكنها تماكنت نفسها وقالت :

– انت اميرة يا ابنتي بل انت افضل بكثير من الاميرات •• ولولا
الشقيان اللذين نغصا حياتي ، لكنت في احسن حال •

فقالت لويزا :

– لماذا لا تذكرين لي اسم هذين الشقيين ؟

– ان احدهما يدعى الشيفاليه بارداليان •

– سوف اذكر هذا الاسم ، وسأكرهه طوال حياتي •• فما هو اسم
الرجل الآخر ؟

فلاذت الام بالصمت ، واحترمت البنت سكوتها •

ولما انتهى العمل من الوشاح ، حملته (جان) وذهبت به الى صاحبه،

واما (لويزا) فقد وقفت تنظر الى احدى غرف الفندق المقابل للمنزل ،

وكان هناك فتى يقف امامها ، فلما شاهدها رفع يديه مسلما •• فاحمر

وجه (لويزا) وليبت دقائق تحديق في وجه هذا الشاب •• الذي احبته

عند رؤيته ولو انها عرفت اسمه ، لذعرت واجفلت ، ذلك ان هذا الفتى

الشباب لم يكن غير الشفاليه بارداليان ابن الشفاليه بارداليان الكبير •



كان بارداليان الصغير يقيم في غرفة فاخرة من غرف هذا الفندق الذي كان يواجه منزل جان وقتاتها ، والذي كان يعتبر من احسن فنادق في باريس .. منذ ثلاثة اعوام .

وقد يسأل القارئ كيف استطاع هذا الشاب الإقامة في هذا الفندق، وهو لا يملك من المال شيئاً ؟

والجواب على ذلك ان بارداليان الصغير كان ينعم بكثير من الصفات التي عوضت عليه فقره وبؤسه .. كان فارساً وجريئاً مقداماً ، ريان الشباب صلب الاعصاب ، ممتلئ الجسم ، طويل القامة ، حاد النظرات ، اذا ابتسم استهوت ابتسامته الناس ، وان غضب ارهب الجميع .

كان جميع من في الشارع يهابونه ويخافونه ، يحارب بسيفه كأحسن ما يفعل المحاربون ، ويهاجم الجحفل غير هياب ولا وجل ، فيشق طريقه فيه ، بسيفه الطويل ، وبراعته الخارقة في استعماله ، حتى لم يكن في باريس من يدانيه في اعمال البطولة ، والتجديد في المعارك والملاحم .

وكان قبل ان يرسل الى (لويزا) تلك القبلة ، التي هزتها وهزته ، قد دعاه والده بارداليان الكبير اليه ، واعلن له انه مغادر باريس وقد لا يعود اليها ، وانه اذا لم يورثه مالا فقد اورثه ما هو خير من المال والعقار .. وانه يعتقد انه خير من يحمل السيف في فرنسا ، وليس فيها الآن من يضاهيه او يشبهه .. كما انك عركت الحياة وعركتك ، وعرفت البؤس والرخاء ، وقد كان من الممكن ان تكون الآن في حالة خير من حالتك لولا جريمة ارتكبتها فحالت بيني وبين الخير والرخاء .

ودهش الشاب لما سمعه ، وسأل والده عن هذه الجريمة ، فقص عليه ابوه كيف كلفه رئيسه بخطف طفلة ففعل ، واعطاه خاتماً من الماس جزاء ذلك ، ووعدته بالمزيد بعد الخطف ، وكيف خطب الفتاة ، ثم اعادها الى امها ، بعد ان وبخه ضميره ، وكيف ترك بعد ذلك خدمة سيده ، وقضى

خمسة عشر سنة شريدا معدما •

ثم مضى الاب يوصي والده ، ان لا يثق بالناس ، فليس بينهم من يساوي قيمة الجبل الذي يشنق به ، وان لا يحاول مساعدة انسان، تاركا الناس وشأنهم ، وان لا يعترض لصوصا يحاولون سرقة مكان ، ولا يسرع لنجدة اي كان •• فذلك خير وابقى •

بكى بارداليان لفراق والده ، ثم عاد الى نفسه ، وقد ادرك ان عليه ان يحيا في الدنيا وحده ، وان يواجه الناس بمفرده •

وكان بارداليان يقيم في هذا الفندق مع ابيه في غرفة مظلمة ، تشرف على فناء الفندق ، فلم يفكر في عيوبها عهد والده ، فلما اصبح وحده بدت له مساؤها ، فأخذ يفكر في البحث عن غرفة اخرى •

وفيما هو في شأنه ، شاهد باب غرفة تواجه غرفته ، وكان الباب مفتوحا ، فذهب الى هذه الغرفة ، فوجدها خالية ، حسنة الياش ، تطل نافذتها على الطريق العام ، فأعجبته ، وزاد في عجبه حين شاهد فتاة تقف امام نافذة المنزل المقابل ، وهي كالقمر جمالا وروعة ، فصاح صيحة دهش ، فسمعت الفتاة صيحته واقفلت النافذة ، وسمّر الشاب على الاثر في مكانه ، مسحورا مأخوذا •

واخيرا أفاق على صوت صاحب الفندق لاندرى غريغوار •• وكان ضخم الجثة ، مكتنز اللحم والشحم يشبه البرميل الكبير •

فلما شاهد بارداليان في الغرفة عض على شفتيه ، وقال للشباب :

لقد كنت ابحث عنك •• وذهبت الى غرفتك فلم اجدك فيها •

فأجابه الشاب :

— اني بالعكس في غرفتي قفل ما تشاء •

فاصفر وجه صاحب الفندق وقال :

— كيف انت في غرفتك ؟

قال :

— لقد راقت لي هذه الغرفة فاستبدلتها بالقديمية .
— ولكنني اتيت لاخبرك انك لا تستطيع البقاء عندي في فندقتي ..
حتى ولا في غرفتك القديمة ، ولتعلم ان والدك لم يدفع لي اجرا عن نزوله
في فندقتي حتى الآن ، وهو ما لا يمكن ان يقبل به احد على الاطلاق ..
وحين طلبت من والدك ان يدفع لي اجار الغرفة ، اجابني بالصفع والضرب
.. وقد سكت على ضربه لانه كان يحمي فندقتي ، فاذا حاول شخص
الاعتداء عليّ ، او العريضة ، حمله والقاه في الشارع .

فقال بارداليان :

— اذا فانت مديون له حتى الآن .
— كفى مزاحا ايها الشفاليه ، وغادر الغرفة حالا ، او ادفع اجار الغرفة
عن السنتين السابقتين .. ولتعلم ان هذه آخر ليلة تفضيها عندي .
وابتسم بارداليان ، وذهب الى غرفته القديمة فأتى بعضا كانت فيها
وانهال على صاحب الفندق بالضرب والصفع ، وهو يقول :

على الابن المهذب ان يقتدي بابيه .

وأخذ صاحب الفندق يصيح ويتوجع ، وأقبل خدم الفندق وزوجه
لا تدري على صوت صياحه ، فلما شاهدوا هذا المشهد جمدوا في مكانهم ،
وعندئذ حمل بارداليان صاحب الفندق واراد القائه الى الشارع من
النافذة ، وهدده بالموت ان لم يأمر خدمه بمغادرة الغرفة ، ففعل ، وراح
على الاثر صاحب الفندق يستعطفه ، ويطلب منه ان يعفو عن حياته ، فقال
بارداليان :

— سأفعل شرط ان لا تعود الى هذه المطالب بعد الآن .. وان تتركني
أقيم في هذه الغرفة .

واوفق صاحب الفندق *
واعاد بارداليان صاحب الفندق الى الغرفة ، وبعد ان عاد المسكين الى
رشده ، وتمالك اعصابه ، اتفق مع بارداليان على ان لا يتعرض له بشيء
بعد اليوم ، وان يتركه يقيم في الفندق ما شاء ، وان يتناول طعامه مجاناً ،
شرط ان يحميه كما كان يفعل والده *

★ ★ ★

انتفاذ ملكة

وفي ذات ليلة .. غادر بارداليان بعد هذه الحادثة باسابيع عديدة ،
احدى الحانات بعد ان شرب قدرا رحبا من النبيذ ، فلما اختواه الشارع
مضى يتهادى فيه ويعني ، فسمع صوتا يقول :
- الينا يا اهل التجارة .. فحاول العمل بوصية والده ، من البعد عن
المشاكل ، والهرب من المتاعب .

ولكن شيئا في قرارة نفسه دفعه الى الاسراع نحو الشارع القريب ،
الذي قدّر ان الصوت لا بد ان يكون قد صدر منه .

فلما وصل الى الشارع المذكور شاهد رجلين يحيط بهما اثنا عشر
رجلا من قطاع الطرق ، وكان الرجلان فوق جواديهما ، وفي يد احدهما
جواد ثالث لا راكب عليه ، وهو الذي كان يصرخ ويستغيث .. ولا بد
انه كان خادم احد البيوتات النبيلة .

واما الفارس الآخر فكان يدافع عن نفسه دون ان يقول كلمة او
يطلب نجدة .

وقد اصاب اثنين من المهاجرين فالتقاهما بطروحين ارضا •
ولكن خصومه كانوا اكثر عددا ، وكان لا بد ان يتغلبوا عليه آخر
الامر ، وادرك بارداليان حرج موقفه ، فصاح به ليتشجع •

ثم سقط على قطاع الطرق كما يسقط السيل الجارف ، واخذ يكيّل
لهم ضرباته دون ان يسحب سيفه من قرابه •

ولما تمكن من امساك اثنين منهم قبض على عنق كل منهما ، واخذ
يضرب رأسيهما الواحد بالآخر ، حتى سال دمهما •

واخيرا دفع الرجلين فالتقاهما فوق الاخرين ، فسقط الجميع ارضا •
وابتسم بارداليان لما آلت اليه حالته ، وسحب سيفه في
هذه اللحظة •

ووقف امام الفارس ينتظر ما يكون من الخصوم ، ولكن هؤلاء كما
يبدو تبينوا اخيرا وجهه او عرفوه من ضرباتهم فقروا هاربين من امامه •
عندئذ التفت بارداليان الى الفارس وقال له :

— اتعلم ما فعلت يا سيدي •• لقد خالفت وصية ابي ، الذي اوصاني
بترك الناس وشأنهم وعدم التعرض لمساكلهم •
فقال الفارس :

— ولكنك انقذت حياتي •• فما الذي تريده ؟

— لا اريد شيئا •

— اذن تفضل بقبول هذا الجواد ، فهو خير جيادي •
وتقبل بارداليان الجواد ، وكان بالتأكيد من خير الجياد ، ويدعى
(كالور) •• وذهب به الفندق حيث وضعه في الاسطبل ، وقدم له حفنة
من الشعير •

وكان ان اقبل صاحب الفندق (لا ندري) في هذه اللحظة ، فلما
شاهد الجواد سأل الشاب :

- اهوالك يا سيدي ؟
- نعم لقد حصلت عليه الليلة ••
- فقال صاحب الفندق :
- ايجب عليّ اطعامه ايضا ؟
- طبعا ، اتريد ان يموت جوعا مثل هذا الجواد الاصيل ؟
- ومضى بارداليان الى غرفته ، تاركا صاحب الفندق ينتف شعر رأسه •
- ولما كان اضلع الرأس ، فانه لم يفز بشعرة واحدة •
- وكان بارداليان بعد ان تقبل الجواد ، ومضى الفارس في سبيله ، قد التفت الى الخادم الذي كان يسير خلفه ، وسأله :
- من يكون هذا الفارس الذي عصيت والدي بسببه •
- فقال الخادم مذهولا :
- انه هنري دي مونت مورانسي مارشال دامفيل •



وكان بارداليان بعد ان ارسل اللويزا تحيته ، قد فرح فرحا عظيما حين ادرك انها لم تغضب منه ، ولا اقلعت النافذة في وجهه •

وقدر انها لا بد تحبه رغما عن حقارة ملابسه ، ولهذا فكر في التحدث الى امها بحبه ، لعلها توافق وترضى •

ولما شاهد (جان) تغادر المنزل ، اسرع يغادر الفندق بدوره لعله يلحق بها ، ويشكو اليها حبه ، ويطلب موافقتها على زواجه بفتاتها •

فلما وصل اليها توقف وتردد ، حتى شاهدها تدخل منزلا متواضعا صغيرا في شارع باريس ، فوقف ينتظر خروجها •

وطرقت (جان) الباب ففتحت لها الخادمة ، وصعدت بها الى الدور

الثاني ، حيث احتوتها غرفة مفروشة باحسن الرياش ، كان فيها شاب وفتاة
حسنة ، فسألها الشاب :

— هل رسمت ما اوصتك به ؟

فاجابت بالايجاب ، واخذ الشاب ينظر الى الرسم فارضاه ، وعرضه
على الفتاة يسألها رأيا فصاحت تقول :

— وكيف لا يعجبني يا شارل وانت الذي رسمته •

ولم يكن هذا الشاب غير شارل التاسع ملك فرنسا ، وكانت الفتاة
(ماري توشيت) حبيته •

وقد لاحظت (جان) انها يحبان بعضهما حبا عظيما ، ثم سمعت الملك
يقول لحبيته :

— اني لا افكر الا بك حتى في قلب اللوفر ، بينما (امي) تظن اني
منهمك مثلها في محاربة اعداء الدين من الهيكونوت ، واخي الدوق دي
انجو يعتقد اني مشغول بالعمل لقتله ، فيما الدوق دي كيز يراقبني
ويحذر في وجهي ليعرف ما كتب له لوح القدر فيه •

« واما انا في الواقع فلا افكر في شيء مما يظنون .. بل لا افكر
الا بك » •

وصاحت ماري تقول :

— اشكرك يا صاحب الجلالة ، فقد جعلتني اسعد الناس •

وارتعتت (جان) حين ادركت ان الشاب الذي امامها ليس الا ملك
فرنسا •

وخطر لها ان تحدثه بامر ابنتها وكيف انها ابنة فرانسوا دي
موتمورانسي •

ولكن الملك ما لبث ان راح يقول لحبيته :

— لا تذكريني بلقبي .. فانا في الواقع لا اجد الراحة الا عندك ، ولا
أكل بشهية الا على مائدتك .

واصابت الملك النوبة في هذه اللحظة .. فاتقدت عيناه ، واصفر
وجهه ، واهتز جسمه ، وصاح يطلب من حبيته حمايته من الذين يحاولون
قتله .

ثم اشتدت عليه النوبة فلم يعد يعي على شيء ، واسرعت جان لمساعدة
ماري ، فسألتها هذه ان لا تذكر شيئا عما رأته ، فوعدها ان تفعل .
وكان الملك الشاب الذي لم يتجاوز العشرين من عمره مصابا بمرض
عصبي عضال .

واما الفتاة التي كان يحبها ، وهي ماري توشيت ، فقد كانت تكبره
باربعة اعوام ، شقراء الشعر زرقاء العينين رائعة الجمال ، تفيض حبا
واخلاصا ، وهذا الذي حمل الملك على التفاني بغرامها ، والاطمئنان اليها ،
والتحدث اليها باسرارها ، وتناول الطعام عندها ، لانه كان يخشى ان
يدسوا السم له في الطعام في قصر اللوفر ، فلا يطمئن الى الاكل فيه .



سار بارداليان في أثر الام بعد ان غادرت المنزل ، وهو لا يدري ما يقول
لها ، ولا كيف يبدأ حديثه معها ، فقد كان لا يزال ساذجا في مثل هذه
الامور ، فلما وصل الى شارع سانت انطوان ، احس ان في الجو شيئا ،
فقد شاهد الناس يسرون افواجا في طريقهم الى اللوفر .
وكان ان اضاع جان ولم يعد يراها لكثرة الزحام ، فمضى مع الناس ،
وقد استبد به الفضول ليرى ما يكون .
ولحظ ثلاثة رجال ضخام الاجسام يتقدمون الناس ، والناس
يصيحون خلفهم ، يحيوا بيزو ، ويحيوا كيرسي .

سأل بارداليان رجلا قريبا :

— من يكون هؤلاء الاقيال ؟

فلحظه الرجل شذرا ، فلما شاهد سيفه الطويل اجابه :

— الا تعرف كيرسي الجوهري ، وبيزو الجزار ، وكرفيه الكتبي .
فقال بارداليان :

— اني قادم من الريف ولم اسمع بهذه الاسماء قبل اليوم .
فاخبره الرجل بانهم من اصدقاء الدوق دي كيز وانهم من المدافعين
عن الديانة ضد الهيكونوت ، وان الدوق الذي وصل الى باريس منذ قليل
سيمر بهذا الشارع في طريقه الى اللوفر . . . وختم الرجل حديثه قائلا :

— يحيا الدوق دي كيز ولتتم ملكة نافار .

وكانت ملكة نافار من الهيكونوت ، وهم طائفة من من البروتستانت
. . . كان دي كيز وانصاره يكرهونهم ويريدون ابادتهم لاغراض سياسية لا
علاقة لها بالدين في حال من الاحوال .

وهز بارداليان رأسه ، وراح يراقب الرجال الثلاثة الذين تأكد له
انهم يتزعمون هذه الثورة ، فشاهد احدهم ينظر الى نافذة تطل على
الشارع ، وشاهد امرأة ورجلا خلف النافذة ، ورأى الرجل الواقف خلف
النافذة يشير اشارة سرية الى احد الثلاثة .

وكانت المرأة الجالسة على كرسي خلف النافذة كاترين دي مديسيس
زوجة هنري الثاني ملك فرنسا السابق ، ووالدة شارل التاسع .
وكانت هزيلة الجسم ، تلبس السواد ، ولها انف كانت العقاب ،
ونظرات نافذة قوية .

واما الرجل الذي كان خلفها فكان ريجياري الفلكي الذي كان شابا
جميل الصورة ، قد ارتفعت الكلفة بينه وبين الملكة الام ، فلم يكن يبادلها
الاحترام المفروض من الرعية نحو الملوك والملكات .

وكانت الملكة في هذه اللحظة تسأل رفيقها فيما اذا كان واثقا من ان ملكة نافار وصلت الى باريس سرا كما بلغها ، فاكدها الخبر ، وان الجاسوسة اليس دي ليكس مرافقتها قد نقلت اليه هذا الخبر .
وان الملكة ستمر بهذا المر ، ولهذا استنجد بالرجال الثلاثة ليشيروا الشعب ، ويهاجموا العربة التي تمر بها ملكة نافار فيقضون عليها .
وعضت كاترين على شفيتها وقالت :
- اني لا ابالي بالدوق دي كيز فهو في قبضة يدي افعل به ما اشاء ساعة اريد . . . واما ملكة نافار فهي العدو اللدود ، واذا ظفرت بها خنقتها .

فقال لها ريجياري :

- لا عليك من هذا فسيتولى الشعب هذه المهمة بعد قليل .
وعلا صياح الشعب في هذه اللحظة . . . ودنت كاترين من النافذة فشاهدت هنري دي كيز مقبلا ، فقات لريجاري :
- اني لا ارى غير دي كيز .
فقال :

- الا تشاهدين المركبة في آخر الجسر ، يخفها بعض الحراس ، ان ملكة نافار فيها ، ولن تستطيع العودة الآن بعد ان طوقها الشعب ، ولسوف يعرفها كيرسي حالا من النظرة الاولى .
وكان هنري دي كيز في هذه الاثناء يسير فوق الجسر ، وحوله ثلاثين فارسا ، والناس يحيونه ويهتفون له ، وينادون بسقوط الهيكونوت .
وكان دي كيز شابا في العشرين من عمره ، قوي الجسم ، شديد الالفة والكبرياء ، فوقت كاترين تراقبه ، وقد ازداد حقددها عليه لهتاف الشعب له .

كل هذا كان يجري ومملك فرنسا عند ماري توشيت نائما لا يعلم شيئا عن المؤامرة التي تدبرها امه .

واخيرا وصلت المركبة المتواضعة الى المنزل القديم الذي كان يقف
بقربه الزعماء الثلاثة وبارداليان .

ولما وصلت المركبة الى امام المنزل فتحت نافذة منها لحظة ، كانت
كافية ليصيح جماعة من الشعب الشائر .

— هذه حنة ملكة النافار ، ليبت الهيكونوت ، ولتمت ملكة نافار .
وهجم الشعب على المركبة وهم يصيحون :

— اطرحوا عدوة الدين في النهر .

وقبل ان يتمكن الشعب من المركبة ، خرجت منها امرأتان .
قالت احدهما وهي الاصغر سنا :

— اشفقوا على جلاتتها .

واشار الزعماء الثلاثة الى المرأة الاكبر سنا ، وقالوا :

— هذه هي .

ولكن الملكة لم تأبه لهذا التهديد والوعيد ، وتقدمت نحو البيت
القديم ، كأنما تريد الالتجاء اليه ، وامتدت الايدي نحوها .

وهجم الفا رجل على امرأة واحدة . هجوم الوحوش .

ولكن يدا لم تصل اليها ، لان بارداليان تحرك من مكانه في هذه
اللحظة ، واسرع يدفع الناس عن الملكة بيديه ورجليه ، حتى تمكن من
اجبار الناس على الارتداد من امامه ، فجرد عندئذ حسامه ، وانهاه به
على الناس ضربا وجرحا ، حتى دهشت كاترين من جرأته وبساقته ، وقالت
لصاحبها :

— اما ان يكون هذا الرجل معنا او يموت .

وقال الدوق دي كيز ، الذي كان يراقب هذا المشهد :

— يجب ان اعرف من يكون هذا الرجل .

وبعد دقائق تمكن بارداليان بحسامه من طرد الناس من امام باب

البيت القديم ، فصاح بالمرأتين ليستعدا ، ثم ضرب الباب بقدمه فلم يفتح امامه لاول وهلة ، وادرك المهاجمون غرضه فهجم خمسة عليه ، فدفعهم بحسامه فسقط اثنان ، ثم ضرب الباب ضربة ثانية ، فانفتح ، فدفع الملكة ورفيقتها اليه ، ثم عمد الى اقفاله خلفه من جديد ، وكان المنزل لنجار ، وفيه من الواح الخشب العدد الكثير ، فدعم الباب بخمسة منها ، بحيث اطمأن الى انهم لن يتمكنوا من خلعه الا بعد دقائق .

قالت له ملكة النافار عندئذ ، لما شاهدته ممزق الملابس دامي اليدين والوجه ، لا تفارق الابتسامة وجهه الجميل :

— اذا كان لا بد من الموت ، فاني اريد قبل موتي ان اشكرك لانسي لقيت ساعة موتي اعظم بطل في حياتي .
فقال بارداليان ضاحكا :

— اننا لم نمت حتى الآن ، وسابحث علنا نجد طريقا ننجو منه .
ومضى يفحص المكان ، فعثر في القاعة على مدخل قبو ، فأدخل المرأتين فيه ، فصاحت الملكة تسأله :

— وانت ؟

— اني سأتبعك بعد قليل .
مضت الملكة تفحص القبو ، فعثرت على حلقة من الحديد في الارض فانتزعتها ، فشاهدت سلما خشبيا ينتهي الى نهر (السين) وقاربا عند اسفل السلم .

اسرعت الى بارداليان تعلمه بما اكتشفته ، فدعاها للصبر لحظات .
وكان بارداليان قد عثر على جبل غليظ ، ربطه بأخشاب السطح واخذ يجره ، ويسنده ، فيما كان الثائرون يهاجمون الباب ، وقد تمكنوا منه اخيرا واخذوا يصيحون : الى الموت .
وفي هذه اللحظة نفسها تمكن بارداليان من انتزاع دعائم السقف

بواسطة حبله ، فسقط المنزل على المهاجمين ، وطمرهم تحت الاتربة
والحجارة ، في اللحظة التي قفز فيها بارداليان الى داخل القبو حيث اسرع
الثلاثة الى ركوب الزورق ، فيما كان الناس يعتقدون انهم هلكوا تحت
انقاض المنزل •• مع سواهم من الذين اقتحموه من الثائرين •

ولما وصل الثلاثة الى الضفة الثانية للنهر ، وقف بارداليان يودع
الملكة •

فقلت له :

— اني ملكة نافار وقد اسديت الى اسرة (بوربون) خدمة عظيمة لن
نسائها •• فمن تكون انت ؟

قال :

— اني الشغاليه دي بارداليان ، ولما اقدمت على انقاذك لم اكن اعلم
انك من اصحاب التيجان •

فقلت وقد اعجبها جوابه :

— اذا اردت ان تتبغني الى معسكر ولدي ضمنت لك المجد والثروة •
وفكر بارداليان كيف يبرح باريس ، ويترك محبوبته الحسناء فيها •
واجلبها بعد تردد :

— شكرا جزيلا ، يا صاحبة الجلالة ، ولكنني عزمتم على ان ابحث
عن الثروة والمجد في باريس ، لا في خارجها •

فقلت :

— انت وما تشاء •• اذا اراد احد رجالي ان يراك فاين يجدهك ؟

قال :

— في فندق دفينير ، في شارع سانت دنيس •
والتفتت الملكة عندئذ الى وصيفتها وعابتها على فتح النافذة ، وذكر

اسمها امام الجمهور الثائر ، فطاش رأس الفتاة وراحت تعتذر ، فنظرت اليها الملكة نظرة منكرة وقالت :

— لو اراد احد اعدائي تسليمي الى اعدائي يا اليس لما فعل اكثر مما فعلت •• فلا تعودى الى مثل ذلك •

وانتفتت الملكة الى بارداليان تطلب منه ان يرافقها في زيارة قصيرة ، فوافق ، ومضت الملكة تسير من شارع الى آخر حتى وصلت الى امام باب في شارع تامبل ! فأمرت اليس بطرق الباب ففعلت ، ففتح لهم الباب عجوز بيضت شعره السنون ، فلما شاهد الملكة عرفها ، وسألها عما تريده •

وضعت كيسا من الجواهر على المائدة ، ففحصها اليهودي ثم قال :

— ان هذه الجواهر تساوي ثلاثمائة الف فرنك •

— لقد اصبت في تقديرك •

— وانا مستعد لدفع مائتين وخمسين الف فرنك بها •• لان النقد

قليل في هذه الايام •

ورضيت الملكة بالمبلغ ، واخذت حوالة به على وكيل اليهودي في مدينة نانت ، وكانت هذه الجواهر آخر ما بقي لها من مجوهراتها ، التي صرفتها في المجهود البحري والحركات السياسية •

وكانت ملكة النافار في عهد روايتنا هذه في الثانية والاربعين من

عمرها ، تلبس السواد حدادا على زوجها انطوان دي بوربون ملك النافار،

المتوفي في سنة ١٥٦١ •

ولكنها لم تأسف على موته لانه كان ضعيفا مترددا ، تاركا بلاده

ومشاكلها الى امرآته التي كانت من اشد النساء جرأة ، واشدهن ذكاء ،

وابرعهن سياسة وتديرا •

وبعد ان تمت الصفقة ، غادرت الملكة باريس من باب سانت مارتين
المجاور لشارع التامبل حيث كانت مركبة تنتظرها تجزها اربعة جياذ
يقودها سائقان .

وبعد ان ودعت الملكة بارداليان وشكرته على تضحيته في سبيلها ،
مدت له يدها فقبلها ، ووقف ينظر الى المركبة تغيب عن نظره برهة من
الوقت ثم عاد ادراجه ممزق الملابس كثير الجراح .

المؤامرة

عاد بارداليان الى الفندق ، ينتهم ما اعدته له زوجة (لا ندري)
صاحبه ، من الطيور المقلية ، والخمرة الشهية ، ثم ذهب الى غرفته فنام
طويلا .

فلما افاق في اليوم التالي كان همه اصلاح ما تمزق من ثيابه فجلس
امام النافذة وتناول ابرة ، ومضى يعمل .

وبعد قليل سمع نقرا على الباب ، فرفع صوته يأذن للطارق بالدخول .
فلما فتح باب الغرفة سمع صوت صاحب الفندق يقول :

نعم انه هنا فتفضل بالدخول يا سيدي البرنس .
والنتف بارداليان ليشاهد هذا الزائر النبيل ، فاذا به امام رجل على
احسن ما يكون من مظاهر السيادة والجاه .

وقد زين ريشة قبعته بزمردة لم ير مثلها الا بين جواهر ملكة نافار .

عجب الزائر لرؤيته يخيط ثيابه ، وظنه احد الخدم في اول الامر .

فلما عرف انه بارداليان نفسه ، رفع قبعته وحياه باحترام ، واخبره

انه رسول الدوق دي كيز اليه ، يحمل اليه احترامه واجلاله .

فأجابه بارداليان بمثل ذلك •

فقال الرسول :

ان معركة البارحة يا سيدي قد رفعتك الى المقام الاعلى في نفوس الناس ، فان الناس لم يروا معركة مثلها في حياتهم ، رجل واحد يقف امام المئات ، ثم يهدم المنزل على مطارديه •

« ان هذا لمن المعجزات يا سيدي •• حتى ان شاعر الملك وصف المعركة للملك عند نهوضه وقال انك تستحق الباستيل لاقدامك على انقاذ امرأتين مجرمتين كاتتا تحاولان الهرب » •

سأله بارداليان باسمًا :

— وماذا الذي قاله الملك ؟

— ان الملك لم يقل شيئًا كما هي عادته ، ويهمني بهذه المناسبة ان

اقدم لك هذا الخاتم هدية من سيدي تقديرا لبطولتك •

وتقبل بارداليان الخاتم ووضعه في اصبعه ، ثم عرض عليه الرسول السبب في زيارته ، وسأله فيما اذا كان مستعدا للعمل في حاشية الدوق دي كيز ، الذي يريد تجديد حاشيته ، بضم الابطال المعروفين اليها • واعتذر بارداليان بأنه يفضل البقاء حرا ، وانه يشكر الدوق على اهتمامه به وتقديره لعمله ، وسيزوره بنفسه ليشكره على هديته وزيارة رسوله •

وسر الرسول بهذا الجواب ، واعتبره دليلا على ان بارداليان سوف

ينضم لحاشية الدوق ان عاجلا او آجلا •

وبعد ان تحدثا قليلا •• استأذنه بالانصراف ، وودعه بارداليان الى الباب ، وبعد ان اقفله خلفه اخذ ينظر الى الخاتم ويقدر ثمنه حتى وصل به الى ثلاثمائة ريال •

وفجأة طرق الباب ثانية ، فاخفى الخاتم في يده ، واقبل الطارق فبدا

له رجلا عاديا يلبس ملابس التجار ، وقد اتشح برداء كبير ، فلما ايقن انه امام بارداليان ، سأله عن اليوم الذي ولد فيه •

فقال له بارداليان :

— هذا ما لا اعرفه ، ولكن اعرف اني في العشرين من عمري

الآن ، واني ولدت في ايام التين •

فقال الرجل في نفسه :

— سأسأل النجوم عن امره •

ثم سأله بصوت عال :

— هل انت حر يا سيدي الشيفاليه ؟

فقال بارداليان :

— من يستطيع الادعاء انه حر يا سيدي في هذا البلد ، ان الجميع

يعتمدون على بعضهم بعضا ، ولا يسيرون الا تحت الحراسة •

« واما انا فاني اعيش على هواي ، واذهب الى المكان الذي اريد ،

ولا اهاب قطاع الطرق ، ولا افعل الا ما يحلو لي •

« فاذا كانت هذه هي الحرية التي تسأل عنها فأنا حر بالتأكيد » •

اصغى الزائر الى حديثه ثم اخرج كيسا من تحت رداءه فوضعه

على المائدة وهو يقول :

— ان هذا الكيس يحتوي على مائتي ريال •

فدهش بارداليان وقال :

— هذه ثروة عظيمة •

— وهذه الثروة لك •

— اذا كان الامر كذلك فعلي ان اضعها في مكان امين قبل كل

شيء •

وبعد ان وضع بارداليان المال في حقيته ، سأل زائره :

- لماذا اعطيني هذا المبلغ من المال ؟
 فأجابه الرجل بهدوء :
 - لاشتري حريتك .
 فقال بارداليان بهدوء عجيب :
 - انك لا تزال مدينا الي بتسعمائة وتسعة وتسعين الفا وثمانماية
 ريال .
 فارتبك الزائر وقال :
 - اتقدر ثمن حريتك بمليون ريال ؟
 - نعم .. ولعام واحد فقط .
 وكان الزائر (ريني ريجياري) الفلكي المشهور وصديق الملكة
 كاترين وكاتم سرها ، وشريكها في دسائسها .
 ولكنه لم يتمالك نفسه من الاضطراب والذعر حين سمع جواب
 بارداليان ، وقال :
 - يبدو انك ماهر في الكلام مهارتك في الحسام ، فاحتفظ بحريتك
 يا صديقي .
 « ولتعلم ان غرضي من هذه الزيارة هو اكتساب ولائك لغرض نبيل
 تتولاه اميرة عظيمة .. فهل انت مستعد لخدمة هذا الغرض ؟ »
 فسأله بارداليان عن هذه الاميرة ومن تكون ؟
 فدعاه الفلكي الى زيارة المنزل القائم الى يمين الجسر الخشبي في
 الساعة العاشرة مساء ليتم التعارف ، ونصح ان يقرع الباب ثلاث مرات
 فيفتح له .
 وتذكر بارداليان انه شاهد امرأة ورجلا يقفان خلف نافذة المنزل
 ساعة الحادثة ، فعزم على معرفة سر هذه المرأة ، ووافق على الزيارة .
 وما كاد الفلكي يغادر الغرفة حتى عمد بارداليان الى عد الريالات
 التي حصل عليها .

وفيما هو في شأنه هذا قرع الباب للسرة الثالثة ، ودخل عليه رسول
من ملكة نافار يقدم له هدية جديدة باسم الملكة وهي عبارة عن خاتم من
الياقوت •

وقد استشعر بارداليان بسيل غريب لهذا الزائر الجديد الذي كان في
شرح الشباب ، والذي عرف منه ان يدعى (ديودات) •• وانه في مهمة
سرية في باريس وسيبقى اياما •

فدعاه بارداليان الى الاقامة معه في الفندق . فاعتذر وقال :

— انه يقيم عند دي تاليني صهر الاميرال كوليني الذي يقيم سرا
في باريس الآن في قصر الاميرال نفسه ، وطلب من بارداليان زيارته عندما
يشاء في القصر المهجور ، وان عليه ان يقرع الباب ثلاث مرات ليفتح له
رتاجه ، فيذكر كلمة السر وهي (جادناك ومونكوتور) فيفتح له عندئذ .
ولقد غادر بارداليان الفندق بعد ان ودع (ديودات) •• لشراء
بعض الملابس ، وبيع الخاتم الذي أهده له الدوق دي كيز •
واما خاتم الملكة فقد احتفظ به ، وزين به اصبعه كما يفعل النبلاء في
هذا العهد •



فلما عاد الى الفندق بعد ذلك ابصر ثلاثة رجال يقفون بجانب الفندق ،
ويتطلعون الى منزل جان وابنتها لويزا ، فضاق صدر (بارداليان) منهم
•• خصوصا لما شاهدهم يضحكون ويعبثون •
وكان ان ذهب احد الثلاثة في سبيله فتصدى بارداليان للثنتين
الباقيين وسألهما عن سبب تحديقهما في المنزل ، فكان جواب وكلام وتهديد
ووعيد •

واتتهى الامر الى المبارزة في الساعة السادسة من صباح غد ، في الغابات القريبة ، وقد قال احدهما لبارداليان وهو يهيم بالانصراف :
- سوف تجدني في هذا المكان انا ورفيقي ، فاجتهد ان تضحك الليلة كثيرا لانك لن تضحك بعدها ابدا .
وقال بارداليان وهو يبتسم ابتسامة مرعبة :
- سوف افعل .

ومضي في سبيله وهو يفكر في شأن هذين الرجلين وزميلهما الآخر ، وما غرضهما من التحديق بمنزل لويزا وامها ، واحمر وجهه ، حيث فكر انهما قد يريدان اختطافها .

ولما اشرف على الفندق شاهد حركة غير عادية فيه ، فسأل احد الخدم وعرف ان هناك حفلة ستقام فيه الليلة يحضرها الشعراء ، فيشربون ويتندرون ويتطرحون الشعر . . وان هذه عادة درجوا عليها في مطلع كل شهر .

ولما حاول بارداليان القاء سؤال آخر عليه ، اقبل الى الفندق فارس يلبس قبعة عليها ريشة حمراء ، فاسرع الخادم لاستقباله .

وعرف فيه (بارداليان) المسيودي كوسيني رئيس حرس الملك شارل التاسع ، واعظم رجل عسكري في اللوفر فدهش لقدمه ، وسأل نفسه ما شأن هذا الرجل في حفلة يقيمها الشعراء ؟

وقد اعتذر رئيس الخدم للشعراء الذين حضروا بعد ذلك بان عددا من كبار رجال البلاط قرروا حضور حفلتهم متكرين ، فلم يعترض الشعراء على ذلك ، ومضوا عند اجتماعهم ينتقدون الحكم القائم والظلم والاستبداد وينادون بحق الشعب في الحياة والحرية .

ولما انتهوا من ترديد اشعارهم ، غادروا القاعة الى صالة الطعام .

وكان بارداليان قد وقف خلف الباب متنصتا مستمعا لما يقولون ، فلما خلا الجو للجمعين من النبلاء .. ونزع هولاء اقنعتهم ، دهش بارداليان حين عرفهم ، اذ وجد بينهم رئيس اساقفة باريس ، وكوسيني رئيس حرس الملك الخاص ، والدوق دي كيز وقريبه الكردينال لورين ، وغيرهم مسن كبار الاعيان وانصار دي كيز .

ولما سمع ما اخذ يدور بينهم من الحديث ازداد عجا ودهشة .
فقد قال الكردينال نسيب دي كيز انه قد اخذ من الاديرة ما يزيد عن حاجتها من المال لتصرف على الثورة المقبلة .

وقال المارشال دي تافان :

— ان لديه ستة آلاف فارس يتأهبون للزحف المقبل .

وقال المارشال دي دامفيل :

— ان لديه اربعة آلاف فارس .

ولم يكن دي دامفيل هذا غير هنري دي مونتسوراني صاحب الجناية القذرة التي بسطنا خبرها في اول هذه القصة ، وهو نفسه الذي انقذه بارداليان من قطاع الطرق الذين هاجموه ، فكان ان اهداه جواده جزاء وتقديرا .

ولقد زاد هنري دي مونتسوراني على ما قاله :

— ان لديه شروطا للمشاركة في الثورة .

فقال له الدوق دي كيز :

— قد عرفنا شروطك .. فهي سجن اخيك فرانسوا وتعيينك مكانه رئيسا لاسرة مونتسوراني ، وتقليدك منصب ابيك وهو امارة الجيوش ، أليس كذلك ؟

فحنى هنري رأسه بالموافقة .

ونظر بارداليان الى وجهه دهشنا حين سمعه يطلب سجن اخيه ، فرأى
امارات الحقد ظاهرة بينة على وجهه •

وعاد الدوق يسأل بقية الحضور فقال المسيو كيتالين :
- اما انا فبصفتي مدير سجن الباستيل ، فعلياً ان احتفظ بذلك
السجين العظيم •• ولا ادعه يغادر السجن الا الى الجبانة •

وادرك بارداليان والعرق يتصبب من وجهه •• ان هذا السجين العظيم
•• لن يكون غير الملك نفسه •
وقال دي كوسيني :

- اني اتعهد بان يكون حرس اللوفر اطوع من بناني ، وانه حين
يصدر امركم ساقبض على ذلك السجين واحمله في مركبة الى الباستيل •
وسأل الدوق رجلاً ضخماً يدعى مارسيل عن مهمته فقال :

- اني شيخ الحارات جميعاً ، وجميع افراد العامة يمثلون لامري من
الباستيل الى اللوفر •

وقال اسقف باريس انه سيصدر امراً الى جميع القسس في الكنائس
ليبدأوا حملتهم على الملك شارل بتهمة حماية الكفرة ، وتأيد البدع •
واطرق الدوق دي كيز مفكراً بعد الذي سمعه ، ثم اعلن انتهاء
الجلسة •

وطلب من الحضور ان يثقوا به ، واعلن ان الساعة الرهيبة قد دنت ،
وان اوامره سوف تصل اليهم في الوقت المعين •

واخذ الحضور يغادرون الغرفة بعد ان ودعوا الدوق دي كيز وداع
الملوك •

واسرع بارداليان يختبئ في القبو القريب حتى لا يراه احد ، وهو

يفكر فيما يجب ان يكون موقفه من هذه المؤامرة التي كان كل واحد من
افرادها مدينا للملك بمركزه ووجاهته •
ولما لم يستقر على رأي فيما يجب عليه عمله ، غادر مكانه ، واسرع
بعده الى خارج الفندق •



سمع هنري دي مونت مورانسي وهو في طريقه الى قصره لقطا قريبا
في الشارع امامه ، فاختبأ في عطفة منه ، بعد ان امسك خنجره بيده مخافة
ان يكون القادمون من اللصوص •
ولكنهم لما اقتربوا منه وسمع اصواتهم عرف انهم ليسوا كذلك ، بل
وعرف ان احدهم لم يكن غير الدوق دي انجو شقيق الملك •

وسمع الدوق يقول جوابا على سؤال احدهم له عن اسم المرأة :
- انهم يلقبونها في شارع سانت دنيس بالمرأة السوداء ، ويدعونها
السيدة جان •

« ولكن المهم ابنتها لويزا التي هي في غاية الجمال والملاحة » •
واهتز هنري حين سمع هذين الاسمين ، واسرع خلف الدوق ورفاقه ،
وقد اشتد به وجده التقديم ووجه الماضي •

وفكر فيما يكون مصيره او عرف اخوه بامرها وعرف سره وخيائته ،
واخذ العرق يتصبب منه ، وصاح بعد قليل مرعدا مبرقا :
- لن انتظر حتى يصل الدوق دي كيز الى عرش فرنسا ، لاغدو رئيسا
لاسرة دي مونت مورانسي ، بل لا بد من ان اصل الى ما اريد بسرعة فقد
طالت حياة اخي ، ويجب ان يموت •

وكان ان وقف الدوق دي انجو امام منزل جان فسأل الدوق احد
اصدقائه :

— اين المفتاح يا مورفر ؟

— انه معي يا مولاي •

— اذاً لتتقدم نحو الباب •

وعندئذ برز للجماعة شخص من حيث لا يعلمون ، وقال لهم ببرود :

— انكم ستجبروني يا سادة على مخالفة نصائح والدي فلتسقط تبعة

هذا الامر عليكم •

صاح الدوق يقول :

— من هذا المجنون ؟

وقال موجيرون احد رفاقه :

— انه الرجل الذي اعترضنا منذ وقت قصير ، واتفقنا على مبارزته

في صباح الغد •

والتفت الي بارداليان قائلاً :

— اراك اصبحت حارسا على هذا الباب !

فقال بارداليان :

— هو ما تقول لادفع السفهاء واللصوص عنه •

وزجره الدوق وامره بمغادرة المكان ، فالتفت بارداليان الي رفاقه

وقال لهم :

— امنعوا خادمكم هذا من التحرش بي او اضطر الي تأديبه •

وازداد غضب الجماعة ، وقالوا :

— اتنا لن نهلك الي الغد ، وسنقتلك الان •• وهجم مورفر عليه ،

فضربه بارداليان بحسامه ضربة جرحته في رأسه فارتد مذعورا يصيح

من الالم •

فهجم عليه (موجيرون) فضربه بارداليان على يده ضربة اطاحت الحسام من يده ، فهم كاييس بالهجوم عليه ولكن الدوق تدخل وحاول اقناع بارداليان بتركهم وشأنهم ، فرفض وابي ، وانذرهم بمغادرة المكان ، فهدهه الدوق بالويل والثبور وقال له :

— ان صبر شقيق الملك اقل من صبر الملك •

فامر به بارداليان بالذهاب في سبيله ، فاضطر الدوق مرغما الى العودة ، هو ورفاقه ، وهو يتهدده ويتوعده •

وقف بارداليان في مكانه حاميا للمنزل حتى ساعة متأخرة من الليل ، فيما ظل هنري في ركن من اركان الشارع لا يفارق مكانه ، حتى بعد ان ذهب بارداليان الى فندقه •

واخيرا اشرق الصباح ، وفتحت نافذة في اعلى المنزل ، واطلت منها امرأة ما كاد يراها هنري حتى صاح صيحة دهش ، اذ عرف فيها زوجة اخيه فرانسوا •• جان دي بيانس •



جلست الملكة كاترين دي دي مديسيس تكتب بعض الرسائل في الساعة التاسعة مساء ، وريجيارى الفلكي يحوم حولها في الغرفة فتسأله بين وقت وآخر عما اذا كان بارداليان سيأتي كما وعد ان يفعل ، فيؤكد لها انه آت لا محالة •• لانه فقير معدم ، ولن يترك فرصة كهذه تفوته •

فقلت :

— اني لم اشاهد مثله بأسا واقداما •

– اي مهمة سنكلفه بها ؟
فرفعت رأسها ونظرت اليه ثم قالت :
– اني بحاجة الى الرجال الاشداء البواسل •
– لدينا (مورفر) •

– لقد بات (مورفر) يقلقني •• فهو يعرف الكثير من اسرارنا •
« وقد جرح امس في مبارزة لارتجاف يده ، وانا بحاجة الى شخص لا
ترتجف يده ابدا •• لان مستقبل المملكة سيكون متوقفا على سيفه » •
وتذكرت الملكة الآن ايامها الماضية ، وكيف اوصلها زوجها الملك
فرانسوا الاول الى غرفتها ليلة الزفاف ، ثم ذهب ليقتضي الليل مع صديقه
ديانا دي بواتيه ، وكيف انها لم توفق في زواجها •

تذكرت موت ابنها البكر ، وهو في العشرين من العمر ، بعد ان حكم
سنة واحدة ، وكيف يصاب ولدها شارل بنوبات عصبية بين وقت وآخر ،
قد لا تطول معها حياته ، وكيف ان ولدها الاصغر ، الدوق دي لنسون لا
ييشر وجهه بالخير وحسن المصير •

فلم يبق لها والحالة هذه غير ابنها الدوق دي انجو الذي ترجو ان
يصل الى الملك وان يحتفظ به •
واهتزت واضطربت ، حين وصلت في تفكيرها الى هذا الحد •

وقالت بصوت عال :

– نعم ، لا بد لي من ادارة المملكة في هذه الفترة من الزمن ، حتى لا
يبقى العرش تحت رحمة دي كيز وكوليني وموتتموراني •

« لقد وصلت الجراة يوما بالدوق دي كيز ان اخذ مفاتيح قصر الملك ،
فأصبحت اسيرة في البلاط ، وكوليني لا هم له الا نقل العرش الى اسرة
بوربون •

وهناك جماعة آخرون غيرهما يريدون تمزيق المملكة ، واما انا
فسأقف في طريقهم واحافظ على حقوق ولدي الدوق دي انجو الذي
يعبني ويعرفني ويقدرني *

• واهتاج الفلكي حين سمع ذلك :
وقال :

— ولكنني سألت النجم ..
وكان ان رفعت الملكة رأسها اليه ، فقد كانت تؤمن بالنجوم وتخشاها .
ومضى الفلكي يقول :

— ولكنك تنسين كما يبدو الولد الآخر ، الذي قررت طرحه ، امام
باب احد الكنائس ، حتى لا يفتن احد الى علاقاتنا •

— لماذا تحاول العودة الى الماضي ، لقد مات هذا الطفل بالتأكيد ، بعد
ان سقيته الدواء الذي اتفقنا عليه •
فقال الفلكي :

— واذا لم افعل ؟ وكان لا يزال على قيد الحياة •؟

« ولتعلسي اني حين كنت استشير النجوم ، كانت تخبرني بان الغلام
لا يزال حيا » •

تصبب العرق من جبين الملكة ، ولكنها تماكنت اعصابها ، وقالت :
— هب ان هذا صحيح .. فهو الآن غلام لقيط ، لا يعرف شيئا عن
ابويه : ولا نحن نعرف شيئا عنه وعن مكانه •

فقال الفلكي :

— بل هو الآن هنا في باريس وقد شاهدته •

— اين ؟ دلني .. تكلم ..

— البارحة .. وعليك ان تعرفي اسم المرأة التي التقطته وربته •

– من هي؟

– انها جان دي البريت •• ملكة النافار •

• وصعدت الملكة لهذا الخبر •

وصاحت تقول :

– يا للهول ، أيكون ولدي حي ، وعند اعدائي الذين يستطيعون

• بواسطته الاساءة الي •

فقال :

– انها تجهل انه ولدك •

– هذا كلام فارغ •• انها لم تلتقطه وتقوم بتربيته ، الا بعد ان عرفت

• من يكون •• ولهذا لا بد من موتها واخماد انفاسها •

« ولكن كيف عرفت كل هذه الامور » ؟

– عرفتھا عند خروجي من غرفة بارداليان •• فما كدت اغادرھا حتى

شاهدت شابا يدخل اليها •• فوقف شعر رأسي ، لانه كان يشبھني شبھا

عظيما ، حين كنت في الخامسة والعشرين من عمري •

« فوقت انصت الي حديثه مع بارداليان ، فاذا به يحدثه ان ملكة

نافار قد ربته ، وانه لقيط لا يعرف ابويه ، وقد جاء يحمل له هدية من

• الملكة لانقاذه لها » •

سألته :

– هل كان بارداليان يعرفه قبل اجتماعه به ؟

– ابدا •

وقرع الباب في هذه اللحظة •

قالت الملكة :

- لقد وجدت عملا لهذا الشاب ، فاذهب وافتح الباب .
- ووجف قلب الفلكي وقال :
- كاترين رحمة بولدي .

بارداليان في الباستيل

لما مثل بارداليان امام كاترين * وحنى رأسه مسلما ، عرفته الملكة بنفسها ، وشكرته على ما صنعه البارحة من انقاذ ملكة نافار * وسألته فيما اذا كان يعرفها قبلا ، فاجاب بالنفي *

قالت :

— ان هذه الملكة من اهلي ، وهي فقيرة ، فاذا لم تستطع جزاؤك توليت انا ذلك *
فشكرها بارداليان ، واخبرها ان الملكة قد رت خدمته لها ، وشكرته ، وقدمت له هدية *

وقد عرضت عليه العمل عندها في جيشها ، فرفض ، لانه يفضل البقاء في باريس ، ولهذا فهو شاكر حامد ، لا يريد شكرا ولا جزاءا جديدا *
عرضت عليه كاترين ان يعمل لها ، واخبرته انها محاطة بالاعداء *
تذكر بارداليان عند ذلك ، الاجتماع السري الذي عقد في الفندق ، وسمع من خلال الباب ما دار فيه ، وقد ر ان الملكة لا بد ان تكون تقصد هؤلاء الاشخاص الذي اجتمعوا للتآمر على الملك وعرشه *

وكم كان عجه شديدا لما ذكرت له الملكة شخصا آخر ، وهو الشاب
الذي زاره من قبل ملكة نافار . .
وكان ان رفض بارداليان ما كلفته الملكة به من مبارزة هذا الشاب
وقته . لانه اصبح صديقه ، وقد شاركه في طعامه وشرابه .

سألته :

— ما اسم هذا الرجل ؟

— لا ادري .

— كيف لا تدري ؟ . . . ايكون صديقك وانت لا تعرف اسمه ؟ .

فقال بارداليان :

— انه لم يذكر اسمه ، ولم اسأله عنه ، وليس يختلف حالي عن حالك
يا سيدتي ، فانت تجهلين اسمه ايضا . وتقولين انه عدوك .

فقالت الملكة لنفسها :

— ان هذا الرجل اشد عليّ من كل اعدائي .

ثم نهضت وقالت :

— ما دام الامر كذلك ، فلندع هذا الرجل . وشأنه اكراما لعواطفك .
واحضر غدا الى اللوفر ، فاني انتظره فيه .

فلما عادت الملكة الى اللوفر بعد ساعة ، دعت اليها رئيس حراسها .

قالت له :

— اذهب غدا صباحا على رأس عشرة من رجالك الى فندق ديفنير ،
فاقبض فيه على شخص يدعى الشفاليه دي بارداليان ، واذهب به بالستيل .
واما بارداليان فقد عاد الى الفندق يفكر فيما يجب عليه عمله ، بعد
اجتماعه الى الملكة .

قرر الذهاب الى اللوفر لمقابلة الملكة ، وقرر في الوقت نفسه ان يذهب

الى قصر كولينى ، ليخبر صديقه ديودات بان عليه مبارحة باريس حالا
حتى لا تطاله يد الملكة وتقتله .
وقرر ان يتحرش بالدوق دي كيز ويقاتله فيخدم الملكة وتغفر له
رفضه لما طلبته منه من قتل (ديودات) .

واخيرا وحين يطمئن الى مركزه الجديد في اللوفر الذي وعدته به الملكة
يتزوج لويزا ، ويدعو والده اليه ليقتضيا بقية حياتهما في هناء وسعادة .
فلما افاق في صباح اليوم التالي ، ووجد ان امامه فسحة من الوقت
قبل الذهاب الى اللوفر . . . وقف امام النافذة يراقب منزل لويزا .
وفتحت نافذتها فجأة ، واطلت لويزا منها صفراء الوجه ، باكية العينين ،
فلما شاهدت بارداليان ، صاحت تناديه :

— تعال . . . حالا . . .

وثب بارداليان من مقعده ، واسرع ليأخذ سيفه المعلق على الجدار وهو
يقول في نفسه :

— رباه . . . ماذا حدث ؟

ونبح كلبه في هذه اللحظة ، وكسرت باب غرفته ، ودخل منه اثنا عشر
جنديا .

وقال له رئيسهم :

— اننا نقبض عليك بأمر الملكة .

حاول بارداليان الدفاع عن نفسه ، فلم يوفق ، فقد كان مجردا من
سيفه ، وسمع صوت لويزا تناديه .

« اليّ . . . اليّ » فحاول ابعاد الجنود عنه فلم ينجح فقد احاطوا به
وتمكنوا من تكبيله ، ولكن بعد ان تمكن من قتل واحد منهم ، وخنق
كلبه الثاني ، وعض خسة بانيابه .

وكان كلب بارداليان مشهورا بالجرأة كسيده ، حتى كان سكان الحي يخافونه كما يخافون الفارس الباسل •
ولما خرجوا به الى الشارع ، شاهد ثلاث عربات احدها امام الفندق فعلم انها لنقله ، واما الباقيتان فقد وقفتا امام منزل لويزا ، واحدة منهما فارغة ، وفي الثانية شاهد هنري دي مونت مورانسي مارشال دامفيل •
ادرك بارداليان الخطر الذي يهدد حبيته فكاد يجن من يأسه ، حين وجد نفسه عاجزا عن انقاذها ومساعدتها •
وما زالت العربة تسيير به ، حتى وقفت امام سجن الباستيل ، فنقلوه الى غرفة في الطابق الثالث من برج السجن ، حيث فكوا قيوده وتركوه لمسيره •
حاول ان يحطم الباب بعد ان اقلوه عليه ، فلم ينجح ، ثم غلبه اليأس والارهاق فسقط على الارض مغميا عليه •



كان هنري دي مونت مورانسي بعد ان عرف في صاحبة المنزل جان دي بيانس التي كان لا يزال يحبها ، والذي افسد علاقاتها مع شقيقه زوجها بأكاذيبه ، والذي اختطف ابنتها ليتهمها باشنع التهم ، قد استبد به الخوف والوجل ، مخافة ان يعرف شقيقه مكانها ، وتحذثه بما فعله هنري بها •
فقرر خطفها ووضعها في قصره ، وارسل رجاله لهذا الغرض ، وقالوا لصاحب المنزل ان المرأتين من الهيكونت ، وانهم قد اتوا المقبض عليهما باسم الملك •
ولما طرقوا باب جان وفتحت لهم الباب ، واخبروها بغرضهم اجابتهم

أنهم من المخطئين ، لأنها ليست من الهيكوت •
فدعوها هي وابنتها للذهاب معهم لاثبات برائتهما ، فطلبت منهم مهلة
صغيرة لارتداء ملابسها ، فوافق كبيرهم •
وكانت لويزا قد فتحت النافذة ونادت بارداليان ، فسمعتها امها
وسألتها من يكون ••

فأجابتها : لا اعرف اسمه ولكني مؤمنة باخلاصه •• فكتبت عندئذ
الام كتابا له وقعته باسم ذات النقاب الاسود ، تطلب معوثته ، وضمت
الى الكتاب كتابا آخر ، كانت كتبه منذ زمن بعيد فوضعتة معه ، في
مظروف واحد ، واعطته للخادمة لتسلمه الى الذي يسكن الفندق في الغرفة
المقابلة للمنزل •• بعد ذهابهما ، وانبأتهما ان التهمة الموجهة اليهما ملفقة ،
ولسوف يطلق سراحهما قريبا •

وبعد ان انتهت جان من ارتداء ملابسها هي وابنتها ، خرجت مع
رجال هنري الى المركبة ، وعندئذ اقبلت الخادمة تخبرها انها عرفت اسم
صاحب الغرفة ، وانه يدعى الشفاليه بارداليان فلما سمعت الام هذا الاسم
ذعرت ، وحاولت استرجاع الكتاب ، ولكن المركبة تحركت في هذه الساعة
فلم توفق •

ولما غابت المركبة عن الانظار ذهبت الخادمة الى الفندق وطلبت مقابلة
بارداليان •

فقال لها صاحب الفندق وهو يضحك :
- لا تعلمين ما حدث لهذا الرجل الجسور الهائل ؟

فقلت :

- كلا •

- لقد زجوه في السجن لانه من الهيكوت •

فاضطربت الفتاة وعادت الى البيت فخبأت الكتاب في مكان خفي ..
وهي تقول :

— معاذ الله ان اكون من اعداء الدين .



ضاق صدر جان حين وجدت نفسها اسيرة في منزل جميل ، مؤثث
بأحسن الاثاث ، وقد كانت تنتظر كما توقعت ان تؤخذ الى السجن .

فلما اطلت من نافذة الغرفة التي ادخلوها اليها ، شاهدت بعض الحراس
يروحون ويحيئون ، واذا المنزل مسور ، ويقع ضمن حديقة كبيرة ، بحيث
لا تطل نوافذه على الشارع ، ولما ذهبت الى الغرفة الثانية عثرت على
رسالة موضوعة على المائدة ، فقرأت فيها ما يلي :

« الرجاء ، ان لا تخشى الاسيرتان مكروها ، واذا احتاجتا الى شيء
فليقرعا الجرس الموضوع على المائدة ، فتحمل اليهما الخادمة كل ما تطلبان
ولن يطول هذا الاسر الا اياما قليلة » .
وتنهدت الام .

وقالت :

— اني افضل السجن على هذا المكان .. فهناك اعرف ما يراد مني ..
واما هنا فلا ..

وطلبت جان من فتاتها ان تجلس اليها ، واخبرتها انها تريد ان تقص
عليها بعض اسرارها ، واعلمتها انها ابنة فرانسوا دي مونت مورانسي .
فاجفلت الفتاة حين سمعت هذا الاسم الخطير ، وكانت قد سمعت امها

تقول لها اكثر من مرة ، ان نكبتها وشقاءها يعودان الى رجلين احدهما هنري دي مونت مورانسي .

ومضت تقول لها :

« وان هذا الرجل هو عمها ، وهو الذي حاول طعن شقيقه في عرضه في غيابه ، فلم يوفق ، فقرر اختطافك بواسطة وحش من رجاله ، وهددني بانه سيتهمني امام والدك عند عودته من الحرب ، بالخيانة .

فاذا اعترضت وكذبت ، امر الرجل الذي اختطفك بقتلك فسكت حفظا على حياتك .

واما الشخص الذي اختطفك ، فقد اخبرني الرجل الذي اعادك اليّ بأنه يدعى الشفاليه دي بارداليان ، ولا بد ان يكون والد هذا الشاب الذي تحببته الآن .

واهتاجت لويزا لما سمعت هذا الكلام ، وضاق صدرها ، فقد كانت تحب الشاب بارداليان جدا عظيما ، فخشيت ان يكون قد سار على خطة والده .

ثم تذكرت انها استنجدت به فلم يلب نداءها ، ولا اتى لرد كيد الاعداء عنها .

وخطر ببالها ان هذا الشاب لا بد ان يكون متعاوننا مع الذين اختطفوها . . والا لكان اسرع الى نجاتها .

واخذت تبكي حين وصلت في تفكيرها الى هذا الحد ، فضمتها امها الى صدرها .

وفي هذه اللحظة فتح الباب ودخل هنري دي مونت مورانسي .



ذهبت ملكة نافار مع وصيفتها اليس بعد ان ودعت بارداليان الى منزل
في سانت جرمين حيث وجدت ثلاثة بانتظارها ، فدعت احدهم قائلة :
— تعال يا كونت دي ماريلياك •

وكان هذا الشاب ظاهر الكتابة ، فانحنى امام الملكة وتبعها •
ولما احتوتها الغرفة سألتها :

— لماذا دعوتني يا سيدتي بهذا اللقب ، وهذا الاسم ؟
فقالت :

— اليس هو اسمك ؟ •• اما منحتك انا هذا اللقب ؟

قال :

— اني مدين لك بحياتي و ثروتي واسمي ، ولكنني ادعى (ديودات)
وهو عندي افضل من كل لقب ، لاني معروف عند الناس بأني لقيط •
« وانه ليسوئني ان اعلم ان امي هي كاترين دي مديسيس هذه الملكة
الغادرة الفاسدة » •

وسمع في الغرفة المجاورة صوت دهشة ورعب ، لم تسمعه الملكة ولا
الشاب ، وقد مضت الملكة تهديء من روع الشاب ، وتخفف من حزنه
وتقول له :

— يكفيك اني امك بالتبني ، فان قلبي يتسع لحب ولدين •
واخبرته الملكة انها بحاجة اليه لمهمة في باريس ، واخذت تمس في
اذنه بما تريد منه ، حتى اذا فرغت ، ودعها وانصرف •

ودعت الملكة بعدها (اليس) وصيفتها اليها ، واخبرتها انها قررت
صردها من خدمتها واعادتها الى الملكة كاترين ، بعد ان ثبت لها انها
تتجسس عليها •

وذكرت لها حوادث كثيرة من هذا التجسس والوقوف على الابواب،

وكان آخرها اعلان اسمها امام الجماهير في باريس ، وفتح نافذة المركبة ،
وقالت اخيرا : اقرأي هذه الرسالة فانها لك •

واخذت الجاسوسة الرسالة وقرأت ما يلي :

« اذا نجحت مهمتك فاحضري غدا الى اللوفر ، واذا لم تنجح فاطلبي
اجازة بعذر من الاعذار ، واحضري الى اللوفر بعد ثمانية ايام ، فان الملكة
تريد الاجتماع اليك » •

وما كادت تقرأ (اليس) الرسالة حتى مادت الارض بها ، وقالت لها
الملكة وهي تشير نحو الباب :

— اذهبي •• ولولا رحمتي ، لدفعت بك الى قضائنا ليصدروا
حكمهم عليك •

وخرجت الجاسوسة وقد اسودت الدنيا في وجهها •• وشرعت تجري
وهي لا تدري الى اين تذهب •

واما الملكة فقد غادرت غرفتها ، و اشارت الى الرجلين ، وقالت لهما :
— هيا بنا فسنغادر هذا المكان حالا •

وكانت (اليس) في هذه الاثناء قد تولاهما ما يشبه الدهول ، فهي لا
تدري ما تفعل ولا ما تعمل ، ا تعود الي كاترين المخيفة •؟ وتساءل نفسها ،
كيف رضيت ان تكون سببا في قتل ملكة نافار ، واي عار ارتكبته ، واي
جريمة كانت في سبيلها اليها ؟

واتجهت اخيرا صوب باريس ، وكانت تبعد ساعة عنها ، وكانت ابواب
العاصمة قد اقلت في هذه الساعة ، فمضت تسير بين الاشجار ، حتى
اتتهت الى منزل ينبعث منه النور ، فاسرعت اليه وهي تعبئة مرهفة ، فلما
وصلته عرفت انه نزل للمسافرين ، فدخلته وهي تصطك من البرد •

دخل بها صاحبها اولا الى الصالة الدافئة ، وذهب ليعدها لها غرفة
تمام ذبيها .

تلقت حولها فشاهدت رجلا قد اعطاها ظهره ، يصطلي امام الموقد .
وبرق الميل في هذه اللحظة ، واضاء المكان ، فصاحت صيحة دهش حين
عرفت في الرجل (ديودات) .

واستدار الشاب لما سمع الصيحة ، فلما شاهد اليس اسرع اليها
وهو يقول :

ولاذت الفتاة بالصمت ، وكانت من اجمل فتيات عصرها .
ما الذي جاء بك لينا ، ولماذا انت مصفرة الوجه ؟

— ما هذا الاتفاق السعيد ، لقد كنت افكر فيك .. تعالي الى النار ،
وسألها الشاب عن سبب سكوتها .

واضطرت عند ذلك الى الكذب عليه .. والقول بانها بعد سفر الملكة
هربت للحاق به ، فأنكر عليها ذلك ، ولكنه فسر عملها على حبها له .
وقد كان يحبها حبا جما ، وهي كذلك كانت صادقة في حبها له ..
فأخذ يقبلها وتقبله وتقول له :

— هلم بنا نهرب من هذه البلاد ايها الحبيب .

وكانت تقول هذا الكلام والرعب باد على وجهها .. ولحظ الشاب
ذلك ، فسألها عن سببه ، فردته الى حبها له ، وخوفها عليه ، ودعته الى
مغادرة هذه البلاد معها .

فأجابها :

— انه لو كان يملك امره لفعل ، ولكنه سيحدثها في المستقبل عن

سره ومولده .

وكانت (اليس) قد عرفت سره ، لما كانت تسترق السمع عند باب

الغرفة التي كان يتحدث فيها مع الملكة ، وختم حديثه بان ملكة نافار التي هو مدين لها بحياته وشرفه وسعادته، تحتاجه ولا يستطيع فراقها الآن .

وسألها الذهاب معه الى باريس ، حيث يقيم في منزل الاميرال كوليني الذي يعرفه . . . وقررت اليس وهي تفكر في موقفها التخلص من خدمة الملكة كاترين ، لانها خدمة لا تتناسب مع اغراض حبسها الشاب .

ولما اصبح الصباح ، وعرض عليها ان يذهب بها مرة ثانية الى منزل الاميرال ، اعترضت وقالت : انها تفضل الاقامة في منزل صديقة تعرفها ، فوافق ، على ان يزورها مرتين في الاسبوع .

ولقد استقبلت صاحبة البيت (اليس بالترحاب) ، وسألتها عن شأنها ، فأجابت بانها في اسوأ حال من الدسائس والخيانات ، وطلبت منها دواء مقويا ، فأعطتها اياه ، فانتعشت واخذت تتأمل القاعة ، ثم صاحت تطلب من (لورا) صاحبة المنزل ، ان تنزع الصورة المعلقة ، وكانت صورة هنري دي مونتورانسي .

فصعدت لورا على كرسي ، ونزعت الصورة واحرقتها امامها .
واخيرا قالت لها اليس :

— سيحضر شاب يوم الجمعة مساء الى هنا . . . وقد قلت له انك عمتي . . . وهو سيأتي مرتين في الاسبوع ، الجمعة والاثنين .
فقال لورا :

— كما كان يفعل الآخر ؟

— نعم . . . لاني لا اكون حرة الا في هذه اليومين .

— العله خير من المارشال ؟

— لقد كان المارشال عشيقتي ، واما هذا الشاب فأجبه . . . ولم احب

رجلا قبله .

فقلت لورا :

– والرجل الذي كان قبل المارشال ؟

– اتريدين المريكز دي باني غارولا ؟

– نعم .

– اتعلمين ما جرى له ؟ لقد انضم الى رجال الكنيسة ، واصبح من

كبار الوعاظ . . تحسنا وغيره على الدين .

فذهلت (اليس) وسألتها :

– وفي اي دير يقيم ؟

– في دير جبل القديسة جنيفاف . . والنساء يعترفن له بكثرة ، وقد

علمت انه كثير التسامح . . يغفر لكل من يعترف امامه .

– اذاً فيجب ان تذهبي اليه ، وتحمليه على سماع اعترافي .

وعظم فضول (لورا) لمعرفة سر هذه الفتاة الجميلة ، وسألتها عن

الشاب الجديد .

فقلت (اليس) :

– لم يحن الوقت للبوح باسمه . . لان هذا الاسم سر هائل ، ولتعلمي

اني احبه واعبده ، واضحي بنفسني في سبيله ، وليس يروغني الا اني لست

من اكفائه ، وانه يعتقد اني طاهرة نقية ، وانا كما تعلمين .

« وليس يهمني الان غير التخلص من خدمة كاترين الملكة الجائرة

التي جعلتني العوبة في يدها ، وجاسوسة عند اعدائها ، الذين تقذف بهم

بعد ذلك في اعماق السجون » .

واخذت الفتاة تبكي ، وراحت لورا تهدىء من روعها ، ووعدتها ان

ترتب لها موعدا للاعتراف عند الراهب يوم السبت القادم ، وسألتها . .

متى ستذهبين الى اللوفر ، فقلت :

سوف اذهب اليه في مساء اليوم الذي اعترف به للراهب *
وعند منتصف الليل ، وفيما كانت (اليس) نائمة في غرفتها ، غادرت
لورا المنزل ، وذهبت الى القصر الذي بنته (كاترين) للفلكي ، وصعدت
الى برجه ، حيث وجدت كوة القم رسالة فيها * * ثم عادت من حيث اتت *

الخروج من الباستيل

ذهب (بيو) كلب بارداليان بعد ان فشل في المدافعة عن سيده مع الجنود الى سجن الباستيل وجعل يدور حوله وينبح .
فلما لم يجد منفذا ينفذ منه الى داخل السجن ، صعد الى قمة تبعد عشرين خطوة عن السجن وجلس فوقها ، حتى اذا اقبل الليل عاد الى الفندق ، وسرق ما وجدته من الاكل فيه ، ثم عاد الى مكانه ينتظر سيده .
•• او يرجو مشاهدته وسماع كلمة منه .
وكان بارداليان قد ضاق صدره واستقط في يده لما اقلقوا غرفة السجن عليه .

وفكر في (لويزا) التي نادته لنجدتها ، فتجهم وجهه واسودت الدنيا في عينيه ، وعاد الى الباب يهزه بيديه يريد ان يكسره فلا يوفق ويرتد خائبا .
وتقطعت ايام وهو يفكر في مصيره ، وكيف ان من يدخل الباستيل لا يخرج منه ، ويسأل نفسه من يكون الشخص الذي امر بالقبض عليه، العله الدوق دي انجو شقيق الملك ، الذي اختلف معه امام باب لويزا ، ام الدوق دي كيز الذي وقف على سره ؟

ولكن كيف عرف الدوق انه وقف على سره ، وهو لم يتحدث به
الى احد .

ولم يخطر بباله ان الملكة كاترين قد تكون الفاعلة لانها كانت راضية
عنه ، عند مغادرته لها .

وفي اليوم التالي سأل بارداليان السجنان عن السبب في سجنه ،
فرفض السجنان ان يكلمه ، فهجم عليه بارداليان يريد الامساك به ولكن
هدأ اسرع منه الى الباب فخرج واقفله خلفه .

وبعد قليل اقبل حاكم السجن ومعه عدد من الجنود ، فلما شاهد
بارداليان الرجل عرفه ، لانه كان بين المتآمرين ضد الملك ، فهدأ روعه
وثبت في مكانه .

ومضى الحاكم ينصحه بالهدوء والصبر ، او يضطر لنقله الى غرفة في
اسفل السجن ضيقة مظلمة ، ويسأله ان لا يحاول الاعتداء مرة ثانية على
سجانه ، وان لا يقرع الباب بيده ليلا ونهارا .

وخطرت لبارداليان فكرة جديدة فطلب من الحاكم ورقا وقلما .
فقال له الحاكم :

— الكتابة ممنوعة في السجن .

— اريد ان ابوح بسر عظيم .

فاحتاج الحاكم لما سمعه ، وسأله المزيد من هذا السر .
فقال :

— لقد اكتشفت مؤامرة بطريق الصدفة . . يقوم بها بعض الهيكنوت
ضد الدوق دي كيز وغيره من كبار رجالنا . . فان اذنت لي بكتابة ما اعلمه
من اسرار هذه المؤامرة ، فقد يعمل الدوق على مساعدتي لانتفاذه . . ويأمر
باخراجي من السجن .

فقال الحاكم ؟

— اذا كان ما تقوله حقا فان العفو عنك لن يتأخر ، والامر خطير •
ووافق الحاكم على ان يسمح لبارداليان بكتابة قصة المؤامرة ، على
ان يفيد منها لنفسه ويتقدم بها الى الدوق توطيدا لمركزه ، ثم يبعث
بالفارس الى احد السجون العميقة في الباستيل •• فلا يطبق الحياة فيها
اكثر من شهر واحد •

وحملوا الى بارداليان ورقة وقلم ، واخذ الفارس يروح ويغدو في
غرفته وهو يرتب خطته ، ثم وقف على الطاولة الموضوعه في غرفته ، واخذ
ينظر من النافذة الى ما حوله من الارض ، فشاهد كلبه يقف بعيدا ، ففرح
فرحا عظيما ونزل عن المائدة حيث كتب على ورقة من الورق الذي احضره
له السجنان بضعة اسطر ، ثم وضعها في قبعته ، ثم اخذ ورقة ثانية وضع فيها
قطعة صغيرة من الحجر ، ولف الورقة حواها فاصبحت تشبه الطابة
الصغيرة •

وعاد الى النافذة فنادى كلبه ، والقى اليه بالورقة ، فاسرع هذا
لالتقاطها •

وشاهده الحراس فجدوا في اثره ، ولكنه تمكن من الافلات منهم •
ولما اطمأن الى انه اصبح بعيدا عنهم ، القى الورقة من فمه ، واخذ
يلعب بها ، فلما لم يجد فيها ما يؤكل ، تركها وعاد الى الرابية القريبة من
السجن ينظر ويراقب •



سمع بارداليان ضجة في الرواق ، ثم فتح باب السجن بعنف ، ودخل الحاكم وخلفه جنوده ، وهو يصيح :

— ماذا كتبت في الورقة التي القيتها الى الكلب من النافذة ؟
وتنهذ بارداليان وقال في نفسه :

— لقد نجوت •

ومضى الحاكم يقول :

— لا تحاول ان تقول انك لم تفعل لقد سمعت الحراس تنادي الكلب،
ثم شاهدوك تقذف الورقة اليه ، فجزوا خلفه فلم يوفقوا الى امساكه •

فقال بارداليان :

— اني اعترف بما تقوله ، وازيد على ذلك ان كلبي قد تمرن على نقل
رسائلي الى اصحابي بهذه الطريقة •

— لمن ارسلت الرسالة ؟

— لقد ارسلتها الى شخص ليسلمها الى شخص آخر •

— من يكون هذا الشخص الآخر ؟

— انه سر لا استطيع ان ابوح به الا لك وحدك •

فقال الحاكم :

— بل يجب عليك ان تخبرني باسمه •

— اذا فاعلم اني كتبت هذه الرسالة الى شخص كانوا يبحثون في
مصيره منذ ايام في احد فنادق باريس القائم في شارع دنيس ، وكنت انا
في هذا الفندق فسمعت ما سمعت وشاهدت ما شاهدت •

واصفر وجه الحاكم لما سمع هذا الجواب ، وامر جنوده بمغادرة

الغرفة ثم اقل الباب خلفهم وقال لبارداليان :

— والآن تكلم •

فقال بارداليان :

— سألتني عن اسم الشخص الذي ارسلت اليه رسالتي .. اذاً فاعلم انه ملك فرنسا .

وذعر الحاكم وكاد يسقط من الخوف وقال بصوت مرتجف :
— الملك ؟

— نعم الملك نفسه .. واذا اردت معرفة ما كتبت اليه فاقراً هذه الورقة التي هي صورة طبق الاصل عن الرسالة التي ارسلتها اليه .

وتناول الحاكم الرسالة بيد ترتجف وقرأ فيها ما يلي :

« اتشرف باخبار جلالة الملك انهم يتآمرون على قتله ، وان المؤتمرين عليه هم الدوق دي كيز ، وهنري دي مونت مورانسي ، ودي تافان رئيس حرس اللوفر ، وحاكم الباستيل ، واذا اراد جلالتهم مزيداً من المعلومات والتأكد من صدق المؤامرة فليسال حاكم الباستيل الذي كان اشدهم تحمسا ضده .

وكان اخر اجتماع عقد المؤتمرون في فندق ديفنير في شارع سانت

دنييس » .

فانهارت عزائم الحاكم واوشك ان يسقط ارضا ، وقال :

— ويلاه لقد اصبحت من الهالكين .

فقال له بارداليان :

— ان لكل داء دواء فتشجع فان هناك سبيلاً لانقاذك .

واخذ الحاكم يهدده بالويل والثبور ، وبارداليان يحاول تهدئة روعه ، ويطمئنه ان بالامكان انقاذه ، فلما سأله الحاكم عن الطريقة ، قال له بارداليان :

— لن تصل الرسالة الى الملك قبل الساعة الثامنة من مساء هذا اليوم ،

وقد اخبرت صديقي ان يرسلها الى الملك بطريقة خاصة اذا لم ازره في منزله قبل هذا الوقت .
فقال الحاكم :

– اتريد ان تهرب ولا سبيل الى هذا .
– عليك ان تعثر على طريقة اخرج بها من هذا السجن قبل فوات الاوان . . فاذهب الى صديقي وَاخذ منه الرسالة وينتهي الامر ، ويزول الخطر .
فقال الحاكم :

– من يضمن لي صدقك ووفاءك .
– اقسم لك اني سافي بما وعدتك به ، ثم اني لا اجد سبيلا الى سلامتكم الا بهذه الطريقة .
« واما انا فاني سأخرج من السجن بعد يوم او يومين ، وحين تصل رسالتي الى الملك » .
وادرك الحاكم عندئذ ان ما يقوله بارداليان حق ، فقال له :
– سوف افعل فانتظري .
وغادر الغرفة الى مكتبه حيث طلب عربته الخاصة ، وغادر السجن قائلا . . انه في طريقه الى البلاط .

وبعد ان جلس فيها نصف ساعة ، عاد فاطلق سراح بارداليان ، بحجة ان هذا السجن قد خدم جلالة الملك ، وان جلالته قد عفا عنه .
وكان اول ما فعله بارداليان بعد خروجه من السجن ان ذهب الى منزل (جان) يستطلع اخبار المرأتين فحدثته الخادمة التي دهشت لعودته بما حدث وكيف ان جنودا لا تعرف صفتهم قد اخذوا السيدتين .
واعطته الرسالة التي كلفتها سيدتها بتسليمها له ، وكانت مؤلفة من

رسالتين واحدة باسمه ، والثانية باسم الدوق فرانسوا دي مونت مورانسي .
وقد قصت (جان) في رسالتها الى زوجها الدوق قصتها كاملة غير
منقوصة .

كيف حاول شقيقه الاعتداء عليها فرفضته وردته ، فطردها من البيت .
وكيف مرضت بعد وضع ابنتها ، فلما شفيت من مرضها وعلمت بقرب
عودة زوجها ، تأهبت لاستقباله ، فانذرها شقيقه بعد ان خطف ابنتها بانه
سوف يقتل فئاتها ان حاولت تبرئة نفسها ، فكان ان اضطرت للسكوت
امام اكاذيبه وافتراءه رحمة بابنتها ، وما جرى لها بعد ذلك من الحوادث
والوقائع .

وكيف ذهبت الى باريس بعد ان فارقتها زوجها ، لتعيش من اعمال
التطريز . . . وتقوم على تربية ابنتها والمحافظة على حياتها .

وما كاد يصل بارداليان الى نهاية الرسالة حتى خارت قواه ، واخذ
بيكي حزنا على ما اصاب هذه المرأة المسكينة ، وخجلا من الدور الذي
لعبه والده في هذه القصة .

وكانت الرسالة مؤرخة في العشرين من شهر آب سنة ١٥٥٨ ، وفي
نفس اليوم الذي تزوج فيه فرانسوا دي مونت مورانسي ديانا دي فرانس
ابنة هنري الثاني ، اي منذ اربعة عشر عاما .
وضاق صدر الشاب واحتبست انفاسه .

ان الفتاة لا بد ان تكرهه حين تعرف ان والده هو الذي خطفها .
وهي الى ذلك من عائلة نبيلة وابوها اعظم دوق في المملكة فكيف
يطمع مثله فيها ؟

لم يبق عليه الا ان يبكي احلامه ويعود الى رشده ، ويترك الام وابنتها
الى مصيرهما ، بعد ان اصبح لا شأن له بهما .
وفكر طويلا في حالته الحاضرة .

• انه محاط بالاعداء من جميع الجهات ، فهو قد رفض التعاون مع الملكة ، ومع الدوق دي كيز ، كما ان الدوق دي انجو ، شقيق الملك من الاعدائه ، بعد ان هددته وهاجم رجاله دفاعا عن لويزا •
• واحس انه في حاجة الى الهواء الطلق ، فخرج يجوب باريس •
• وبعد ساعة من الزمن وجد نفسه يقف امام نهر السين ، وامام قصر اللوفر ، وقصر اسرة مونت مورانسي القريب •• فاضطرب وحاول الابتعاد عن المكان ، فلم يستطع ، واحس كانه قد سمّر في مكانه ، او كأن شيئا يجذبه الى القصر نفسه •



ذهبت اليس تعترف الى الراهب كليمانت جاك دي بانيكار ، وكان لها محبا قبل ان يصبح راهبا ، فعلمت منه ان فتاها الذي ولدته منه لم يمت كما اخبرها قبلا ، وانه لا يزال حيا ، وقد دعاه جاك كليمانت ، وهو يتربى الآن في احد اديرة باريس ، وعتب عليها الراهب موقفها من طفلها ورضاعها بقتله حين ولدته ، اخفاء لجرمها •
• وانه انما حرمها من طفلها ، لانها تظاهرت امامه بالحب والغرام •
• وهي لم تكن في الواقع غير جاسوسة ارسلتها الملكة كاترين لتجسس عليه وعلى حزب مونت مورانسي •

وقد اعترفت (اليس) للراهب بهذه الحقيقة ، وطلبت منه ، العفو بعد ان تابت وقررت سلوك طريق الرشاد ، وعدم التعاون مع كاترين في المستقبل •• وانها تريد منه فقط ان يعيد اليها الكتاب الذي تعترف فيه بانها طلبت قتل ابنها ، وهو الآن عند الملكة تهددها بنشره حين تحاول رفض طلب من مطالبيها •• وهو يستطيع استرداده من الملكة التي تحبه وتثق به •

سألها الراهب عن السبب الذي يدعوها لاسترجاع الكتاب ، فأخبرته

بحبها لديودات ، وانها تريد ان تبدأ حياة جديدة ، بعيدا عن السياسة
والجاسوسية .

ولكن الغيرة استبدت بالراهب فرفض مساعدتها ، وطلب لها المزيد
من الغواية والفجور ، فاسقط في يدها ، وأغمي عليها .
فلما عادت الى رشدها بعد ان نقلتها (لورا) الى المنزل .
اخذت تفكر في موقفها ، وقررت الدفاع حتى النهاية عن حبها .
وكان عليها ان تتمالك اعصابها ، وترتصد الفرصة السانحة ، وحتى
تسبح هذه الفرصة ، كان عليها ان تذهب لمقابلة الملكة التي دعته اليها .
وكانت الملكة كاترين بعد ان فشلت في قتل خصيمتها ملكة النافار ،
التي كانت تخشى منها ومن ولدها على عرش فرنسا ، قد قررت تدبير
مكيدة جديدة ، تمزق الهيكونت ، وتشرد زعماءهم .

وكان اشد زعماء الهيكونت بأسا وخطرا ، الاميرال كوليني، وهنري
دي بيران ، ابن ملكة النافار ، فتحدثت الى ابنها الملك شارل بتعيين الاميرال
لقيادة جيش يذهب الى هولندا لحماية ابناء مذهبه هناك ، وتزويج هنري
بمرغريت اخت الملك .

وسرّ الملك بهذا الحل السلمي البديع ، لانه كان يكره الحرب
والمذابح التي كانت تدبرهما امه ، ويفضل السلام والسعادة للجميع .
خصوصا وانه لم يكن يعتقد ان الهيكونت يريدون شرا بعرشه ، وان
الناس الذين حوله ، هم الذين يحاولون اثارتهم واستفزازهم وذبحهم .
وبعد ان انتهت كاترين من التحدث الى الملك ابنها واقناعه برأيها
استقبلت اليس جاسوستها ، فأخبرتها هذه بان ملكة النافار عرفت سرها،
وطردتها من قصرها . وان كتاب الملكة كاترين الى اليس ، قد وقع في يد
ملكة النافار ، فأكدت كل شكوكها السابقة بشأنها ، فهي والحالة هذه ،
لم تعد تستطيع خدمتها عندها .
فقات لها الملكة :

— اني لن اكلفك بالاتصال بملكة النافار بعد اليوم ، ولكن عليك اغواء احد اعدائي ، بل هو اشداهم خطرا . وهو الآن في باريس .
سألته (اليس) عن اسم هذا الرجل .
فقلت :

— انه الكونت دي ماريلياك .
وكادت (اليس) تسقط ارضا من هول الصدمة ، فقد كان هذا هو لقب (ديودات) الذي تحبه وتعبده ، وادركت الملكة ما الم بها .
ولكن اليس حاولت اخفاء سرها ، وركعت عند قدمي الملكة ترجوها اغفاءها من هذه المهمة الجديدة ، ولكن الملكة هددتها بنشر الرسالة التي تعترف فيها بأنها حاولت وقتلت بقتل جنينها .
وعقوبة هذا العمل الاعدام ، فقبلت (اليس) مرغمة بالمهمة الجديدة ، ودعت عندئذ الملكة قائد حرسها المسيو (ناسي) وقالت له :

— انك تعرف السيدة اليس دي ليكس . وهي قد تحتاج اليك والى رجالك في يوم من هذه الايام ، فامتثل لاوامرها واقبض على كل رجل تسألك القبض عليه .

وحنى رئيس الحرس رأسه وغادر الغرفة .
فالتفت عندئذ الملكة الى (اليس) وقالت لها :
— اذا خدعتني هذه المرة ، فلن اعاقبك بتسليم رسالتك واعترافك الى القاضي ، بل الى شخص اخر ، بعد ان اضيف اليه تاريخ حياتك .
سألته :

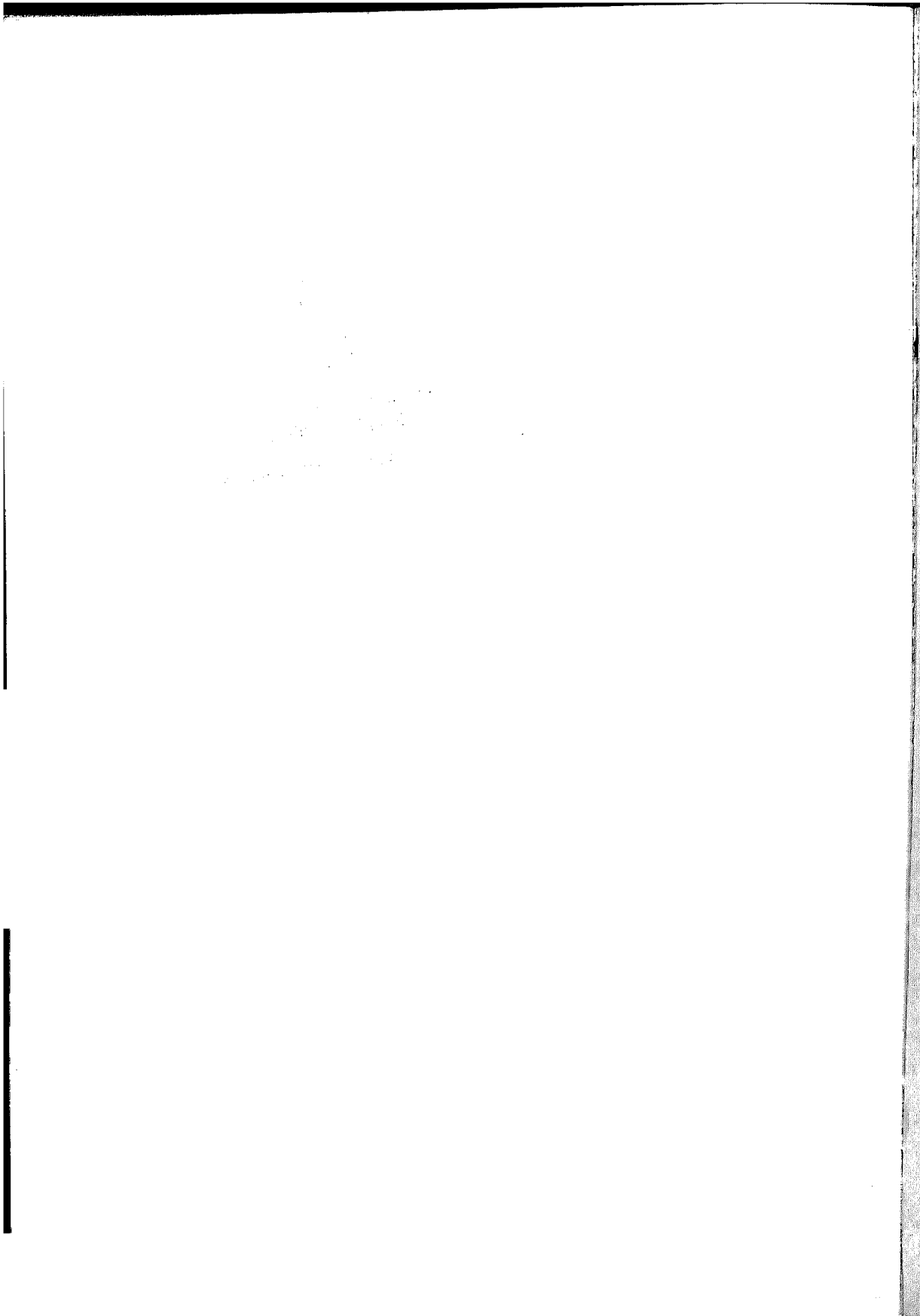
— الى من تسلمينها يا سيدتي ؟
— الى الكونت دي ماريلياك .
وصاحت (اليس) صيحة دعر ، وسقطت على الارض مغشى عليها .

انتهى هذا الكتاب



General Organization of the Alexandria
Library (GOAL)
القاهرة Alexandria

٥	الزواج
١٤	الاخ الفادر
٢٦	في طريق باريس
٣٨	انقاة ملكة
٥٠	المؤامرة
٦٥	بارداليان في الباستيل
٧٨	الخروج من الباستيل



قرش جنیبه
0

912

زیاد